

موقف الإمبراطورية البيزنطية

من قادة الحملات الصليبية

(الأولى، الثانية، الثالثة، الرابعة)

٤٩٠-٦٠٠هـ / ١٠٩٥-١٢٠٤م

الدكتور / عبدالله بن عبدالرحمن الربيعي

قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة :

بحكم تخصصي في الحقبة الصليبية ، واشتغالي بمصادر غربية وعربية حول الصليبيين ، تساءلت كثيراً عن السر الكامن خلف علاقة البيزنطيين بقيادة الحملات الصليبية البرية التي عبرت من بوابة القسطنطينية ، وقادني هذا التساؤل إلى افتراضات راودت تفكيري : هل رغبت الإمبراطورية البيزنطية بمساعدة غربية ضد التهديد السلجوقي ؟ وهل فوجئت بضخامة الحشود الصليبية فتحولت الرغبة إلى رهبة ؟ أو أن العنصر الأوروبي المشارك في الحملة هو الذي حدد الموقف البيزنطي ؟ وهل ما أشيع حول تخطيط غربي لاحتلال القسطنطينية هو الذي أدى إلى تحفظ البيزنطيين إزاء كل حملة من الحملات الثلاث ؟ وهل كانت الحملة الرابعة نتيجة أزمة الثقة بين الطرفين فكان لابد من حسم الأمر لصالح أحدهما ؟

هذه الافتراضات جعلتني أرجع النظر فيما كتب عن الحملات الصليبية المعنية ، من مصادر ومراجع ، لأخضع نصوصها لمنهج النقد التاريخي ، الأمر الذي يمكن الباحث من الوصول إلى النتائج المتوخاة من هذا البحث . وأرجئ بسط القول عما أسفرت عنه الدراسة إلى الخاتمة التي يجب أن تكون تشخيصاً لا تلخيصاً .

أما الإطار الزمني للبحث فيغطي الفترة من عام ٤٩٠هـ / ١٠٩٥م إلى ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م ، مقتصرأ على موقف الأباطرة البيزنطيين من قادة الحملات : الأولى والثانية والثالثة منذ خروجها من غرب أوروبا إلى تجاوزها آسيا الصغرى ، ومن قادة الحملة الرابعة منذ اتفاق زارا إلى

احتلال القسطنطينية . دون الخوض بالعلاقات البيزنطية - الصليبية في الشام وفلسطين ، ودون تفصيل حوادث كل حملة .

أما الغاية من طرق هذا الموضوع فهو تجلية العداء التقليدي بين الكاثوليك والأرثوذكس ، وانعكاس ذلك على صراعات العصور الوسطى ، وإبراز النظرة البيزنطية إلى المسلمين كأصحاب مبدأ وحضارة ، وإلى الصليبيين كشعوب همجية مخربة غدارة . وقد صح هذا الانطباع عندما سقطت القسطنطينية بيد النصارى الغربيين عام ١٢٠٤م ، قبل فتحها على يد المسلمين بقرنين ونصف .

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي التعليلي ، وهو من مناهج البحث التاريخي ، يتسم بالبعد عن الحشو والإسهاب ، ويركز على النتائج والأسباب ، وحرصت على استخدام المصادر والمراجع بقدر ما يتطلبه المقام ، وقمت بتعريف الأعلام من أماكن وأشخاص ، مما يستدعي الموضوع تعريفيه .

وقسمت البحث الى تمهيد عن نشوء الإمبراطورية البيزنطية وهي التي يسميها المسلمون : دولة الروم . وخمسة فصول :

الفصل الأول: العوامل المؤثرة في العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية وغرب أوروبا . وفيه ثلاثة مباحث .

الفصل الثاني: موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٥-١١٠١م) . وفيه مبحثان .

الفصل الثالث : موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملة الثانية (١١٤٧-١١٤٩م).

الفصل الرابع : موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملة الثالثة (١١٨٨-١١٩٢م).

الفصل الخامس : موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملة الرابعة (١٢٠٢-١٢٠٤م).

وقد اعتمدت على مصادر ومراجع عربية ، و مترجمة ، وفرنسية .

تمهيد تاريخي :

لعل من المنطق أن نعهد للبحث بنبذة يسيرة عن تأسيس الإمبراطورية البيزنطية ، الذي تباينت حوله آراء المؤرخين ، والراجع أن التاريخ البيزنطي بدأ منذ تسلم قسطنطين الأول Constantin I (٣٠٦-٣٣٧م) ^(١) عرش الإمبراطورية الرومانية لوجود ظواهر وعلامات تدل على بداية عصر جديد ، وميلاد إمبراطورية تميزت عن الإمبراطورية الرومانية القديمة بأمور جوهرية . وهذه الظواهر التي تعضد رأي من يعد قسطنطين أول الأباطرة البيزنطيين ، أجملها في الآتي :

أ - في عام ٣١٣م ، أصدر قسطنطين الأول مرسوم ميلان ^(٢) القاضي باعتبار النصرانية ديناً معترفاً به في الإمبراطورية . وأمر بعقد أول المجامع الكنسية في نيقية ^(٣) عام ٣٢٥م لبحث الخلافات العقدية حول طبيعة المسيح عليه السلام ، يضاف إلى ذلك اهتمامه بالأرض المقدسة ، وإرساله أمه هيلانة Helen ^(٤)

-
- (١) ولد قسطنطين الأول الكبير في نيسوس بين عامي ٢٧٠ ، ٢٨٨م ، وأصبح إمبراطوراً رومانيا (٣٠٦-٣٣٧م) . توفي في نيقوميديا عام ٣٣٧م . Larousse.T. 5, p. 2182 .
 - (٢) ميلان أو ميلانو ، قاعدة إقليم اللومباردي في شمال إيطاليا . أسسها الغاليون عام ٤٠ ق . م ، واحتلها الرومان عام ١٩٦ ق . م . Larousse.T. 14, p. 6117 .
 - (٣) نيقية Nikaia ، مدينة في آسيا الصغرى ، أسست في الحقبة الهلينية ، عقد فيها مجمعان كنسيان (٣٢٥ ، ٧٨٧م) . Larousse.T. 15, p. 6501 .
 - (٤) تدعى (القديسة) هيلين ، أم قسطنطين الأكبر ، ولدت منتصف القرن الثالث الميلادي ، وتوفيت عام ٣٣٠م تقريبا ، اعتنقت النصرانية ، وزارت فلسطين ، يتخذ النصارى يوم ١٨ أغسطس عيداً لها . Larousse.T. 11, p. 4505 .

إلى القدس للحج وبناء كنيسة نسبت إليه هناك .^(١)

ب - في عام ٣٢٤ م ، شرع قسطنطين ببناء عاصمته الجديدة القسطنطينية بدلا من روما^(٢) ، على أنقاض مدينة إغريقية تدعى "بيزنطة"^(٣) ، وقد افتتح قسطنطين عاصمته يوم ١١ مايو ٣٣٠ م في احتفال أقيم في كنيسة التي بنيت على أنقاضها- فيما بعد- سانت صوفيا^(٤) . وتتميز هذه العاصمة في موقعها الإستراتيجي الذي يحيط به القرن الذهبي من الشمال ، والبسفور من الشرق ، وبحر مرمرة من الجنوب ، ويتصل ببر أوروبا من الغرب . وقد جعلها هذا الموقع مركزا تجاريا بين الشرق والغرب ، ومعبرا للأوروبيين المتجهين إلى فلسطين .^(٥)

(١) انظر : جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية . ص ١٦٠

(٢) تقع في منتصف الشاطئ الغربي لإيطاليا ، أسسها رومولوس عام ٧٥٣ ق.م . اتخذها الرومان عاصمة لهم ، حتى سقطت عام ٤١٠م بأيدي البرابرة . وهي مقر دولة الفاتيكان التي تأسست عام ٧٥٦م : Larousse.T. 19, p. 8150- 8152. T,8, p. 3401 .

(٣) بنيت القسطنطينية على أنقاض "بيزنطة" ، وهي مدينة إغريقية قديمة ، اختارها قسطنطين الأول عام ٣٢٤م موضعا لعاصمته الجديدة ، حاول المسلمون فتحها منذ عهد الدولة الأموية ، وفي عام ١٤٥٣م استولى السلطان العثماني محمد الفاتح عليها ، واتخذها عاصمة للدولة العثمانية باسم "إستانبول" Larousse.T. 5, p. 2184-2186 .

(٤) سانت صوفيا Saint-Sophie ، كنيسة بنيت في القسطنطينية بين عامي ٥٣٢ و ٥٣٧م ، في عهد جستنيان ، وتعد أضخم كنيسة في العالم ، حولها العثمانيون إلى مسجد وأضافوا إليها أربع منارات عالية ، ثم حولت بعد سقوط الدولة العثمانية إلى متحف . Larousse.T. 19, p. 8299 .

(٥) انظر : هسي ، العالم البيزنطي ، ص ٨٩-٩٠ ؛ Diehl, L'Empire byzantin, p. 1-2 .

استطاع قسطنطين توسيع إمبراطوريته لتشمل جزءاً كبيراً من أوروبا ، وأجزاء من آسيا إفريقية ، ولم ينته القرن الرابع الميلادي إلا وبيزنطة قد توزعت إلى أربعة أقاليم إقليم الشرق ويضم : مصر وآسيا الصغرى وتراقيا^(١) ، وإقليم وسط البلقان^(٢) واليونان ، والإقليم الإيطالي ، ويشمل : إيطاليا وشمال البلقان ودلماشيا^(٣) وجزءاً من أفريقية ، وإقليم الغال ويتكون من بريطانيا وغال^(٤) وإسبانيا ،

(١) تراقيا Thraki منطقة بين اليونان وتركيا ، ازدهرت فيها المستعمرات الإغريقية لوجود خام الذهب ، غزاها الفرس في القرن السابع قبل الميلاد. ثم أضحت تحت حكم المقدونيين ، ثم الرومان ، فالبيزنطيين . ولموقعها الإستراتيجي كانت مسرحاً للحروب البيزنطية مع البرابرة . سكنها السلاف في القرن السابع الميلادي . Larousse.T. 21, p. 9078 .

(٢) البلقان Balkans شبه جزيرة ، محاطة ببحر إيجه والبحر الأدرياتي ، المتصلين بالبحر الأبيض المتوسط ، وتشمل البلدان التي كانت تشكل الاتحاد اليوغسلافي ، وألبانيا ، واليونان ، وبلغاريا ، وجزءاً من تركيا . كانت وطناً للجerman واللومباردين والآفار ، وفي القرن السادس الميلادي حل محلهم شعوب آسيوية هم السلاف (الصرب والكروات) والبلغار وهم من أصل تتر ، وقامت فيها إمبراطورية البلغار من القرن العاشر إلى الثاني عشر الميلاديين والمملكة الصربية من القرن الثاني عشر إلى الرابع عشر الميلاديين . حيث أصبحت جزءاً من الدولة العثمانية . Larousse.T. 2, p. 834-835 .

(٣) دلماشيا، Dalmazia ، موضع في غرب البلقان بمحاذاة البحر الأدرياتي ، احتلها الإغريق ثم الرومان ، وغزاها السلاف في القرن السابع الميلادي . واستعمرتها البندقية من عام ١٤٢٠ إلى عام ١٧٩٧ م . Larousse.T. 6, p. 2511 .

(٤) إقليم الغال Gaule ، ويعني فرنسا ، نسبة إلى قبيلة الغاليين Les Gaulois التي تعود إلى أصل جرمان ، وقد امتزجوا مع الكلت مكونين حضارة في القرن السادس قبل الميلاد ، ولم يأت القرن الأول قبل الميلاد إلا وقد أصبحت غالباً أكثر سكاناً وغنى إلا أن الرومان غزوا الغاليين ، وحصرهم في مناطق محددة . وفي القرن الخامس الميلادي تعرضت غالباً إلى هجمات الوندال والقوط ، وتمكن الفرنجة من إقامة دولتهم وإليه تنسب اليوم فرنسا . Larousse.T. 10, p. 4081-4083 .

وغربي موريتانيا ، وقد كانت هذه المساحة الشاسعة تزيد وتنقص حسب الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية التي مرت بها الإمبراطورية البيزنطية^(١) .

في عام ٣٩٥ م قسم ثيودوسيوس الأول الكبير Theodosius I (٣٧٩-٣٩٥ م)^(٢) الإمبراطورية البيزنطية إلى : إمبراطورية شرقية الطابع ، أرثوذكسية المعتقد ، يونانية اللغة ، عاصمتها القسطنطينية . وإمبراطورية غربية ، لاتينية اللغة والحضارة ، كاثوليكية المذهب ، عاصمتها روما ، والواقع أن هذا التقسيم لا يعني انفصالا بل كان الهدف منه الحد من المركزية ، وسرعة اتخاذ القرار ، والإشراف المباشر ، ولم يقدر للقسم الغربي الاستمرار إذ سقطت روما عام ٤١٠ م بيد القبائل الجرمانية^(٣) التي قضت على الإمبراطورية الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ م ، على حين استطاع الأباطرة الشرقيون الحفاظ على دولتهم ، واستعادة أملاكهم في أوروبا وشمال أفريقيا من

(١) هسي ، المرجع السابق ، ص ٩٥

(٢) ولد ثيودوسيوس الأول العظيم في ميلانو عام ٣٤٧ م ، وحصل على لقب أغسطس عام ٣٧٩ م ، قاتل البرابرة والهراطقة ، منع تقديم القرابين للأوثان . قسم قبل وفاته عام ٣٩٥ م ، إمبراطوريته بين ابنيه هونوريوس وأركاديوس . Larousse.T. 21, p. 9056 .

(٣) ينتمي الجرمان إلى العرق الآري ، وكانوا يقطنون حول البحر البلطي ، ثم انتشروا حول ضفاف نهري الراين والدانوب في القرنين : الأول والثاني الميلاديين . وفي القرن الرابع الميلادي أخذوا يغيرون على حدود الإمبراطورية الرومانية ، وفي القرن الخامس الميلادي تمكن القوط الغربيون من احتلال روما عام ٤١٠ م ، واستطاع القائد الجرمني أودواكر من إسقاط الإمبراطورية الرومانية عام ٤٧٦ م . انظر سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ٨٠-٦١

البرابرة، وآسيا الصغرى وسورية وفلسطين من الفرس . وعندما فتح المسلمون فلسطين والشام ومصر بدأ النفوذ البيزنطي ينحسر عن الشرق^(١) .

لقد تراوح الصراع بين المسلمين والبيزنطيين بين مد وجزر طيلة أربعة قرون ، حتى استطاع السلاجقة حسمه لصالح المسلمين ؛ فقد عانت الإمبراطورية البيزنطية في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري ، وضعاً اقتصادياً سيئاً ، وكانت الخزينة خاوية ، فاضطرت إلى سك عملتها من خليط من الذهب والمعادن الرديئة فهوت قيمتها في الأسواق ، وتوقفت موارد الإمبراطورية من آسيا الصغرى وجنوب إيطاليا . وعلى الصعيد العسكري انخرط المرتزقة في الجيش البيزنطي فكانوا وبالا عليها ، إذ لا ولاء لهم ولا انضباط ، وفقدت الإمبراطورية نفوذها في شبه الجزيرة الإيطالية وتسلب عليها البشناق^(٢) واقتطعوا الأراضي الواقعة حول الدانوب^(٣) ، وثار الصرب في البلقان ، وعانت الإمبراطورية من هجمات قبيلة الكومان^(٤) الآسيوية القاطنة جنوب روسيا . أما في آسيا الصغرى فقد أفلقت البيزنطيين القوة المتنامية للسلاجقة كما سنرى لاحقاً .^(٥)

(١) انظر سعيد عاشور، المرجع السابق ، ج١ ، ٩٧-١١٢ .

(٢) البشناق أو البجناك Pechenegs ، هم قبائل تركية ، استقرت زمناً في سهوب روسيا الجنوبية ، وفي القرن التاسع الميلادي نزحوا إلى المنطقة الواقعة بين الدانوب الأسفل ونهر الدنيبر . عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٤٥ .

(٣) الدانوب ، نهر يمر في وسط أوروبا ، ويعد الثاني بعد نهر الفولجا ، ويبلغ طوله ٢٨٥٠ كم ، ويغطي مساحة ٨٠٠ ألف كم مربعاً ، ويجري بألمانيا ، والنمسا ، وتشيكيا ، والمجر ، وصربيا ، ورومانيا ، وبلغاريا ، Larousse.T. 6, p. 2531 .

(٤) الكومان قبيلة تركية على الأرجح ، وكانوا رحلاً يتحدثون التركية ، وتسميهم بعض المصادر القبقاق . عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٧٤ .

(٥) لمزيد من التفصيل انظر : عادل زيتون ، المرجع السابق ، الباب الأول .

الفصل الأول : العوامل المؤثرة في العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية وغرب أوروبا :

قبل أن نستعرض مواقف الأباطرة البيزنطيين من قادة الحملات الصليبية : الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، يحسن بنا الحديث عن قضايا ثلاث مهمة في تاريخ العلاقات البيزنطية مع غرب أوروبا وهي الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية ، والتهديد السلجوقي^(١) بعد ملازكرد^(٢) ، والصراع مع النورمان^(٣) ، لأن هذه القضايا أثرت في المواقف البيزنطية من قادة الحملات الصليبية موضع البحث :

(١) ينتمي السلاجقة أو السلجوقيون إلى سلجوق بن دقاق وهو من زعماء التركمان ، كان وزيرا لأحد خاقانات تركستان ، هاجر بقبيلته إلى ضفاف نهر سيحون ، حيث دخلوا في الإسلام . وفي عام ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م أسس طغرل بك دولة السلاجقة في نيسابور ورجان وطبرستان ، وخوارزم وهمدان والري وبلخ وأصفهان ، وفي عام ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ، دخل طغرل بك بغداد ، وأصبح سلطانا فيها ، ودانت للسلاجقة البلاد الممتدة من أفغانستان إلى فلسطين ، إلى مضيق البسفور . ولكن الخلاف وقع بينهم بعد وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ، فانقسموا إلى شعب منها دولة سلاجقة الروم . أحمد السعيد سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣١٤ .

(٢) ملازكرد ، كما ينطقها ابن الأثير ، أو منا زجرد كما أوردها ياقوت ، موضع في أرمينية ، انظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ، ص ٦٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٠٢ .

(٣) النورمان Normans هم رجال الشمال الذين قدموا من الأراضي الإسكندنافية إلى فرنسا زمن الدولة الكارولنجية ، فأطلق عليهم هذا الاسم ، ويسمون أيضا الفايكنج Vikings " ، في عام ٨٨٥ م حاصروا باريس ، ثم وقعوا اتفاقية عام ٩١١ م ، مع الكارولنجنين ، بموجبها أسسوا دوقية في المقاطعة الفرنسية المعروفة الآن باسمهم " نورماندي " Normandie ، وفي القرن الحادي عشر نزح منهم مجموعة واستولت على إيطاليا ، وتصارعت مع القوى الإسلامية والبيزنطية . Larousse.T. 15, p. 6581-6582 .

المبحث الأول : الانشقاق الكنسي :

في نهاية القرن العاشر احتل البيزنطيون جزيرة كريت^(١) عام ٩٦١م وأنطاكية^(٢) سنة ٩٦٩م ، مما جعل الحجاج الغربيين يسافرون إلى الشرق تحت مظلة البيزنطيين ، وفي الوقت الذي شغلت فيه البابوية بصراعات إقليمية ، وتقاذفتها القوى المتحاربة في إيطاليا ، قوي مركز بطريركية القسطنطينية باعتبارها راعية المقدسات النصرانية في فلسطين ، وبخاصة بعد اتحاد الكنيستين اليونانية والأرمنية ، وتطلعت بطريركية القسطنطينية إلى التحرر من تبعية البابا ، وحق الإشراف على الكنائس الواقعة ضمن ممتلكات بيزنطة في جنوب إيطاليا غير بعيد من روما مقر البابوية^(٣) .

(١) تسمى باليونانية كريتي Kreti وتقع جنوب بحر إيجه ، أصبحت في الألف الرابع قبل الميلاد مركزا للحضارة الإيجية . وفي الألف الثاني قبل الميلاد ازدهرت فيها الحركة العمرانية ، ثم تأثرت بالثقافة الإغريقية ، وفي عام ٦٧ق.م احتلها الرومان ، ثم استولى عليها البيزنطيون حتى فتحها المسلمون عام ٨٢٥م ، وفي عام ٩٦٠م سقطت بأيدي البيزنطيين مرة أخرى ، وفي عام ١٢٠٤م احتلتها البندقية ، إلى أن تمكن العثمانيون من تدميرها في القرن السابع عشر .
Larousse.T. 6, p. 2399-2400 .

(٢) أنطاكية ، مدينة جنوب تركيا على البحر الأبيض المتوسط ، أسسها سلوقس نيكاتور عام ٣٠٧ق.م ، ثم اتخذها أنتيوخس الأول (٢٦١-٢٨٠ق.م) عاصمة للدولة السلوقية . واستولى عليها الرومان عام ٦٤ق.م ، اتخذها النصارى قاعدة دينية من قبل (القدّيس) بولس ثم بطرس ، فتحها المسلمون عام ٦٣٦م ، ثم استردها البيزنطيون ، وفي عام ١٠٨٤م فتحها السلاجقة ، ثم احتلها الصليبيون عام ١٠٩٨م . وتمكن السلطان المملوكي بيبرس من استعادتها عام ١٢٦٨م . أنظر :
Larousse.T. 1, p. 430 .

(٣) السيد الباز العربي ، الدولة البيزنطية ، ص ٧٥٣ ، ٧٥٥

وتجراً بطريك القسطنطينية ميخائيل كريولاريوس Michael Carularius (١٠٤٣-١٠٥٨ م)^(١) فأعلن أن البابوية غدت في القرن العاشر الميلادي أداة بيد الدولة النورمانية عدوة البيزنطيين ، وأن البابا أصبح متورطاً مع النورمان لسلخ جنوب إيطاليا من السيادة البيزنطية ، وأن ضمان مصلحة بيزنطة يكمن في استقلال كنيسة روما . وكان كريولاريوس يتمتع بشعبية كبيرة في القسطنطينية ، وكان يطمح إلى بسط نفوذه على الكنائس الشرقية كلها ، وفي سنة ١٠٥٢ م ، طالب الكنائس الكاثوليكية في العاصمة البيزنطية باتباع الطقوس الأرثوذكسية ، لكنها رفضت ذلك ، فأغلقها ، بل إنه أرسل عام ١٠٥٣ م إلى أحد أساقفته خطاباً وصف فيه طقوس كنيسة روما بالكفر لأنها تخالف التعاليم الأصلية للنصرانية . وأرسل رسالة إلى البابا ليو التاسع Leon IX (١٠٤٩-١٠٥٤ م)^(٢) خريج المدرسة الكلونية ، الذي كان متحمساً لبسط نفوذه البابوي على كل الكنائس النصرانية يشرح له آراءه الدينية ، ولكن هـمـبرت Humbert أمين سر

(١) كان بطريك القسطنطينية ميخائيل كريولاريوس إدارياً في البلاط البيزنطي ، عين بطريكاً وحيداً في حياته ، ورغم صرامته وقلة ثقافته ، فقد حظي بشعبية كبيرة في القسطنطينية . مات عام ١٠٥٨ م . عادل زيتون ، المرجع السابق ، ص ٣٣٩ .

(٢) ولد البابا ليو التاسع في الأناضول عام ١٠٠٢ م . وعين أسقفاً عام ١٠٢٦ م ، وانتخب باباً في مجمع ورم عام ١٠٤٩ م . كان له نشاط ديني داخل الكنيسة ، وسياسي في جنوب إيطاليا . مات في روما عام ١٠٥٤ م . Larousse.T. 13, p. 5410 .

البابا^(١) أساء الترجمة ، فغضب البابا من اللقب الذي اتخذته كريبولاريوس وهو " مسكوني " ويعني " رئيس الكنائس المسيحية في كل أنحاء الإمبراطورية " ، فأرسل همبرت برسالة إلى الإمبراطور البيزنطي قنستنتين التاسع مونوماكوس Monamacus Connstantin IX (١٠٤٢-١٠٥٥ م)^(٢) يشكو إليه تطاول بطريك القسطنطينية ، ورسالة إلى البطريرك نفسه فيها توبيخ ولوم ، مؤكدا على أحقية الكنيسة الغربية في السيادة على الكنيسة الشرقية وفي أبريل عام ١٠٥٤ م ، وصل همبرت إلى القسطنطينية ، وقابل الإمبراطور البيزنطي ، ثم دخل الكنيسة ، ومد - بعجرفة - رسالة البابا إلى البطريرك . وحدث أن مات البابا في ١٥ أبريل من العام نفسه ، فأصبح تمثيل همبرت للبابوية ملغيا ، ورغم ذلك فقد توجه في ١٦ يوليو إلى كنيسة سانت صوفيا ووضع قرار الحرمان البابوي على المذبح وخرج ، وردا على هذا الموقف واستجابة لطلب الإمبراطور عقد البطريرك مجمعا دينيا في ٢٣ يوليو وقع فيه الحرمان على همبرت ورفيقيه ولعن كل من أسهم في إعداد الحرمان البابوي ، والفرق بين الحرمانين : أن البابوي يعم الشعب البيزنطي بجميع فئاته ، على حين

(١) همبرت Humbert أمين سر البابا ليو التاسع ، الشخصية التي قامت بدور في الإنشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية . وللمزيد عن ذلك انظر: عادل زيتون ، المرجع السابق ، ص ٣٤٠-٣٤٥ .

(٢) تزوج الإمبراطور قنستنتين التاسع مونوماكوس من الإمبراطورة زوي ابنة قسطنطين الثامن . وفي عهده شهدت الإمبراطورية اعتداءات النورمان ، والانشقاق الكنسي ، والخطر السلجوقي ، حاول إصلاح الأوضاع بعد موت زوجته عام ١٠٥٠ م . مات عام ١٠٥٥ م . Larousse.T. 1, p. 2183 .

الحرمان البطريكي يقتصر على مندوب البابا ورفيقه^(١) .

ولكن ما تأثير هذا الحرمان البابوي على العلاقة- فيما بعد- بين بيزنطة والعالم الغربي؟ وللإجابة على هذا التساؤل يجدر بنا أن نشير إلى أن العلاقة بين الكنيستين لم تكن على ما يرام قبل هذا القرار؛ فقد كانت كنيسة القسطنطينية تفخر بأسبقيتها في تبنى النصرانية دينا للدولة الرومانية ثم البيزنطية، وأن المجامع الدينية الأولى عقدت في الشرق، وأنها الأقرب إلى الأرض المقدسة والراعية لكنائسها، وقد تطور هذا الشعور إلى نفور من الطقوس التي طرأت على الكنيسة الغربية. وإذا كان الانشقاق الكنسي قد منح القسطنطينية دوراً دينياً يضاهي دور البابوية- وبخاصة لدى كنائس الشرق وهذه نتيجة إيجابية ساعدت الأباطرة البيزنطيين على التوسع الاستعماري في الشرق- فإنه في الوقت نفسه أصبح ورقة مساومة بأيدي الأباطرة كلما أرادوا مساعدة البابوية التي تسعى إلى إعادة توحيد الكنيستين.

المبحث الثاني: صدى معركة ملازكرد ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م؛

أمام تهديدات السلاجقة، وعدم استجابة أوروبا الغربية لنداءاتها، اضطرت الإمبراطورية البيزنطية إلى الاستعانة بمرتزقة من أعدائها النورمان بقيادة روسول دو بايول Roussel de Bailleul^(٢)

(١) عادل زيتون، المرجع السابق، ص ٣٣٩-٣٤٧؛ جوزيف نسيم يوسف، المرجع السابق، ص ١٩١-١٩٢؛ Diehl, L'Empire byzantin, p. 136-137.

(٢) يذكر رنسيما أن روسول دو بايول، كان يطمح إلى تأسيس إمارة نورمانية مستقلة في الأناضول، وبالنظر إلى ما يتمتع به من حب للمغامرة والإقدام، =

في معركة مع السلاجقة دارت رحاها قرب "ملازكرد" ، فانسحب النورمان تاركين الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينيوس Romainus IV Diogenus (١٠٦٧-١٠٧١ م) ^(١) يقع أسيرا بيد السلطان السلجوقي ألب أرسلان ^(٢) يوم الجمعة السابع من ذي القعدة من عام ٤٦٣ هـ / ١٩ أغسطس ١٠٧١ م. ورغم خيانة روسول إلا أن الإمبراطور ميخائيل السابع Mikhail VII (١٠٦٠-١٠٧٨ م) ^(٣) أرسله مع القائد البيزنطي إسحق كومنينوس Isaac Comeneus ^(٤) إلى آسيا الصغرى ، فعاد إلى طبعه ، وانفصل عن أسحق وتركه يقع في قبضة السلاجقة ، وأخذ يغير على ضواحي نيقية وأنقرة ^(٥) ، فقرر

= فقد استفاد البيزنطيون منه كقائد لقوة مرتزقة في الجيش البيزنطي . وبعد هزيمته على يد الكسيوس كومنينوس لم يظهر على مسرح الأحداث . رنسيما ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ ص ١١٤-١١٥ .

(١) ولد الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينيوس عام ١٠٧٢ م ، أسره السلاجقة في معركة ملاذكرد ، ثم أطلقوا سراحه ، ليلقى حتفه في القسطنطينية عام ١٠٧٢ م . Larousse.T. 19, p. 8137-8138 .

(٢) هو ألب أرسلان محمد بن داود جفري بك بن ميكائيل بن سلجوق ، كان أبوه حاكما على خراسان ، فلما توفي سنة ٤٥٢ هـ ، خلفه عليها . وبعد أن مات أخوه طغرل سنة ٤٥٥ هـ ، تولى ألب أرسلان السلطنة في بغداد وفتح بلادا كثيرة في أذربيجان والكرج وما وراء جيحون . وهزم البيزنطيين في ملازكرد سنة ٤٦٣ هـ . قتل سنة ٤٦٥ هـ . ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٦ ، ٢٥ ، ٣٧ ، ٧٤ .

(٣) هو ميخائيل السابع دوكاس ، تسلم الحكم بعد هزيمة رومانوس الخامس في معركة ملاذكرد عام ١٠٧١ م على يد السلاجقة . اغتصب الحكم منه نقفور الثالث عام ١٠٧٨ م . Larousse.T. 14, p. 6097 .

(٤) القائد البيزنطي إسحق كومنينوس ، هو ابن أخت الإمبراطور المهزوم رومانوس . ورغم عدائه لأسرة دوكاس ، إلا أنه ظل وأخوه الكسيوس موالين للإمبراطور ميخائيل السابع دوكاس . . رنسيما ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ ص ١١٣ .

(٥) تقع أنقرة في هضبة الأناضول ، اتخذها مصطفى كمال أتاتورك عاصمة للجمهورية التركية عام ١٩١٩ م . Larousse.T. 1, p. 394 .

ميخائيل السابع تأديب رسول فبعث إليه حنا دوكاس John Doukas^(١) فانتصر المرتزق النورماني عليه ثم أسره ، ونادى به إمبراطوراً كي يكون ذريعة له لاحتلال القسطنطينية ، فاضطر ميخائيل السابع إلى الاستعانة بفرقة سلجوقية أرغمت رسول على الفرار ، إلى أن تمكن الكسيوس كومنينوس Alexius I Comnenus (١٠٨١-١١١٨ م)^(٢) من القضاء على حركته^(٣) . ويهمناهنا ما ترتب على معركة ملازكرد من صدى في أوروبا ، فقد وصفها المؤرخ الألماني جلازر Gelzer بأنها " ساعة موت الإمبراطورية البيزنطية العظمى " ، ذلك أن قوة السلاجقة أخذت تهدد العاصمة البيزنطية ، مما حدا بالإمبراطور ميخائيل السابع إلى أن يستنجد بزعماء غرب أوروبا ، وبعث برسالة إلى البابا جريجوري السابع Gregory VII (١٠٧٣-١٠٨٥ م)^(٤) فوجد البابا في ذلك فرصة لتوحيد الكنيستين ، وفكر في

(١) هو القيصر حنا دوكاس ، ابن عم الإمبراطور ميخائيل السابع دوكاس ، ولم يكن له دور سياسي فيما بعد . رنسيما ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ص ١١٤ .

(٢) ولد الكسيوس الأول كومنينوس في القسطنطينية عام ١٠٤٨ م . قاوم النورمان والسلاجقة ، وعانى من الحملة الصليبية الأولى ، ووقع اتفاقية مع البندقية . مات عام ١١١٨ م . Larousse.T. 1, p. 212 .

(٣) حسن حبشي ، الحرب الصليبية الأولى ، ص ٤٨ - ٤٩ ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ٦٥ .

(٤) اسمه هيلدبراند ، ولد عام ١٠٢٠ م ، مات في سالرنو عام ١٠٨٥ م ، كان مستشاراً للبابا جريجوري السادس ، ثم ليون التاسع ، ثم أصبح ممثل البابا في فرنسا ، قاوم العلمانيين ، اضطر الإمبراطور هنري الرابع إلى طلب الصفح منه عام ١٠٧٧ م . أمضى بقية عمره لاجئاً عند روبرت جيسكار في سالرنو حتى وفاته عام ١٠٨٥ م . Larousse.T. 10, p. 4320 .

إعداد حملة صليبية إلى الشرق ، وكاتب الزعماء الأوروبيين ولكن
انشغال البابوية بصراعها مع هنري الرابع Henry IV إمبراطور الدولة
الرومانية المقدسة ذلك (١٠٥٦-١١٠٦ م) ^(١) حال دون ذلك . ^(٢) .

وترتب على هزيمة بيزنطة في ملازكرد أن فقدت معظم أملاكه في
الشرق ، ولتعويضها عن ذلك ، وتأمين موارد مالية ، بدأ الأباطرة
البيزنطيون يتطلعون إلى التوسع غربا ، ولتحقيق مد نفوذهم في أوروبا
لا بد من استمالة البابا ، لذلك بادر الكسيوس كومنينوس إلى إعادة
بحث مسألة توحيد الكنيستين الشرقية والغربية تحت سلطة البابا
مقابل تمكين كومنينوس من إحياء مجد الإمبراطورية الرومانية القديمة
ليكون إمبراطوراً للشرق والغرب ، وهو الحلم الذي راود - أيضا -
خلفاءه من البسيت الكومنيني . ولكن البابا الكسندر الثاني
Alexander II (١٠٦١ - ١٠٧٣) ^(٣) لم يعره اهتماماً ^(٤) .

(١) ولد هنري الرابع Henry IV ، أصبح إمبراطورا للإمبراطورية الرومانية
المقدسة عام ١٠٥٠ م ، وهو ابن هنري الثالث ، اختلف مع البابا جريجوري
السابع ، ولكنه أعلن خضوعه للبابوية . ومات في لياج عام ١١٠ م .
Larousse.T. 11, p. 4525-4526 .

(٢) أنظر : اسمت غنيم ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٠٤ ، ٢١٢-٢١١ ؛
جوزيف نسيم يوسف ، المرجع السابق . ص ٢١٢ .

(٣) ولد البابا الكسندر الثاني قرب ميلانو ، قاوم البابا هونوريوس الثاني ، اختيار
مستشارا للبابا جريجوي السابع . ثم بابا عام ١٠٦١ م ، إلى وفاته عام ١٠٧٣ م
في روما . Larousse.T. 1, p. 208 .

(٤) انظر : جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية . ص ٢٢٢ ؛ هسي ،
العالم البيزنطي ، ص ١٩٦ .

وفي عام ١٠٨٧ م ، قام روبيير الأول Robert de Flandres كونت فلاندر (الأراضي الواطئة)^(١) برحلة حج إلى فلسطين ، وزار القسطنطينية في طريق عودته ، فانتهاز الكسيوس كومنينوس الفرصة ليتخذ من روبيير وسيلة تأثير على الرأي الشعبي والرسمي في غرب أوروبا ، وبث دعاية عن أن المسلمين يعرقلون حركة الحج الغربي ، وكان لرسالته التي بعثها إلى روبيير - فيما بعد - صدى لدى البابوية ، بل وفي صياغة خطاب أوربان الثاني Urban II (١٠٨٨ - ١٠٩٩ م)^(٢) في مؤتمر كليرمون - فيران Clermont-Ferrand^(٣) بفرنسا^(٤) .

أعاد كومنينوس طرق أبواب البابوية مرة أخرى ، فأرسل سنة ١٠٩٠ م إلى البابا أوربان يلتمس منه إرسال جنود مرتزقة لقتال عناصر ثائرة في البلقان . كما استنجد بروبيير دو فلاندر وشخصيات

(١) روبيير الأول Robert de Flandres كونت فلاندر (الأراضي الواطئة) ويدعى روبيير فريزون أي ذو الشعر المجعد ، ولد عام ١٠٣ م ، كونت فلاندر شمال فرنسا (١٠٧١-١٠٩٣ م) ، الابن الثاني للكونت بلدوين الرابع التقى ، دخل في أحلاف اقطاعية . Larousse.T. 19, p. 8112 .

(٢) ولد البابا أوربان الثاني في فرنسا عام ١٠٤٢ م ، كان راهباً في كلوني ، ثم أصبح عام ١٠٧٨ م كاردينالاً ، خلف فيكتور الثالث على البابوية عقد العديد من المجمع الكنسية . ومات في روما عام ١٠٩٩ م . . Larousse.T. 22, p. 9333 .

(٣) تقع كليرمون - فيران على بعد ٣٨٢ كم جنوب باريس . أسسها الرومان . ثم أصبحت قاعدة كنسية ، عقدت فيها مجامع عدة ، منها المؤتمر الذي افتتحه البابا أوربان الثاني ، وأعلن فيه انطلاق الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٩ م . Larousse.T. 5, p. 1927 .

(٤) حسن حبشي ، المرجع السابق ، ص ٣٤

غيره فلم تجد هذه النداءات ^(١) .

ويشير المؤرخ الفرنسي ميشو Michaud إلى أن الكسيوس كومينوس أرسل سفارة إلى البابا أوربان أثناء ترؤسه مجلسا عقد في بليزانس Plaisance ^(٢) يلتبس منه إرسال نجدة لصد الخطر السلجوقي ، وتحرير الأرض المقدسة . ^(٣) .

و الفرق بين مراد الكسيوس من طلبه النجدة ، وبين غاية البابا أوربان الثاني من الاستجابة أن الإمبراطور سعى بذلك إلى أن يسعفه الغرب بقوة تمكنه من استرداد آسيا الصغرى من قبضة السلاجقة . أما البابا فلم يكن يهتم بأمر آسيا الصغرى قدر اهتمامه باحتلال الأرض المقدسة ، وهكذا بدأ عدم الانسجام والتوافق في الغايات بين البابوية والإمبراطورية البيزنطية ^(٤) .

المبحث الثالث : الصراع مع النورمان؛

في سنة ١٠٤٧م جاء إلى إيطاليا النورماني روبير جيسكار Robert Guescard (١٠٥٩-١٠٨٥م) ^(٥) ، فاستعان به جايمر

(١) انظر : جوزيف نسيم يوسف ، المرجع السابق . ص ٢١٢-٢١٣ .

(٢) بليزانس Plaisance ، أو بياسنزا Piacenza ، مدينة تقع شمال إيطاليا ، استعمرها الرومان عام ٢١٨ ق . م . واحتلها القوط عام ٥٤٦ م ، عقد فيها البابا أوربان الثاني مؤتمرا للتحضير للحملة الصليبية الأولى . Larousse.T. 17, p. 7318 .

(3) Michaud, Histoire des croisades, vol. 1. p. 69 .

(٣) سعيد عاشور ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٢٧-٤٢٨ .

(٤) ولد روبير جيسكار ، ابن نانكريد دو هوتفيل عام ١٠١٥ م ، كان كونتا (١٠٥٧-١٠٥٩م) ، ثم دوق صقلية (١٠٥٩-١٠٨٥م) ، أبعد المسلمين عن صقلية ، حرر البابا جريجوري السابع من معتقله في روما . ومات عام ١٠٨٥ م . . Larousse.T. 19, p. 8113 .

أمير سالرنو Guaimar de Salern^(١) ضد أعدائه في المنطقة ، ولم يلبث جيسكار أن شكل قلعا للبابا ليو التاسع فطلب البابا النجدة من الإمبراطور الألماني هنري الثالث Henry III (١٠٣٩-١٠٥٦ م)^(٢) ومن هنري الأول Henri I ملك فرنسا (١٠٣١-١٠٦٠ م)^(٣) ، ولما لم يجد منهما أذانا صاغية ، توجه تلقاء الإمبراطور البيزنطي قنستنتين التاسع الذي تظاهر بالإجابة فأرسل سنة ١٠٥١ م أرجيروس Argiros^(٤) عاملا للإمبراطور في أملاكه جنوب إيطاليا ، وحاول استمالة النورمان كمرتزقة ، أو مغادرة المنطقة مقابل أموال تدفع لهم ، فأبوا ، فتحالف أرجيروس سنة ١٠٥٢ م مع البابا ضد النورمان ولكنه مني في مايو ١٠٥٣ م بهزيمة أمام النورمان ، وفي يونيو من السنة ذاتها هزم البابا كذلك في معركة شفيتات Civitate^(٥) . وأمام هذا التقدم

(١) هو جايمر الرابع أمير سالرنو ، دخل في صراع مع القوى الإيطالية ، وفي يونيو ١٠٥٢ م ، اغتاله أحد حرسه الخاص على شاطئ غير بعيد من أمالفي .
p. 54 . Les Empires normands d'Orient . Pierre Aube .

(٢) ولد هنري الثالث الملقب بالأسود عام ١٠١٤ م في بودفيلد ، ابن كونراد الثاني ، توج في روما عام ١٠٤٦ م ، تزوج أنيس دو بواتيه ، بسط نفوذه على إيطاليا .
Larousse.T. 11, p. 4525 . مات في هارتس عام ١٠٥٦ م .

(٣) ولد هنري الأول في فيتري أولوج عام ١٠٠٨ م ، ابن الملك روبرت الثاني . هزمه وليم الفاتح . ومات في أورليان عام ١٠٦٠ م .
Larousse.T. 11, p. 4526 .

(٤) كان ماريانوس أرجيروس Argiros مشرفا على أملاك بيزنطة في جنوب إيطاليا ، حاول جاهدا الحفاظ عليها ، تارة بالتحالف مع البابوية ، وتارة أخرى مع قوى محلية ، مات عام ١٠٦٨ م . حسن حبشي ، الحرب الصليبية الأولى ، ص ٤٣ .

(٥) شفيتات Civitate موقع شمال غرب فوجيا قرب لوجيرا قاعدة الإمبراطور فريدريك الثاني : انظر Pierre Aube, Les Empires normands d'Orient, p. 3759 . 55 . Larousse.T. 9, p. 3759 .

النورماني أرسل أرجيروس إلى القسطنطينية رسلاً لشرح أبعاد الخطر النورمان ، ثم سافر إلى العاصمة البيزنطية عام ١٠٥٥ م ، ولكن ما من مجيب . وكان هذا الصمت البيزنطي فرصة للنورمان فاحتلوا مدناً في جنوب إيطاليا ، ثم غزوا صقلية وطرّدوا المسلمين منها عام ١٠٦٠ م^(١) في ١٦ أبريل ١٠٧١ م ، احتل النورمان بقيادة روبرت جيسكار مدينة باري Bari^(٢) جنوبي إيطاليا ، وأخذ جيسكار يخطط لغزو القسطنطينية بعد انكسار الجيش البيزنطي في ملازكرد في ١٩ أغسطس من العام نفسه أي بعد أربعة أشهر من سقوط باري بأيدي النورمان . وفي عام ١٠٨١ م عبر جيسكار البحر الأدرياتي ، وحيث إن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنينوس لم يكن قادراً على صد التقدم النورماني فقد استعان بالنورمان المقيمين في عاصمته وأرسلهم إلى بلاد النورمان فأثاروا الفوضى فيها ، فعاد جيسكار إلى إيطاليا ، وفي الوقت نفسه أرسل كومنينوس إلى البابا جريجوري السابع يلتمس مساعدته ضد النورمان ولما لم يلق منه إجابة توجه تلقاء هنري الرابع إمبراطور الدولة الرومانية الغربية المقدسة ووعده بدفع ضريبة سنوية كبيرة ، فاستجاب الإمبراطور لتحقيق غاية في نفسه وهي توسيع نفوذ الإمبراطورية مما أوقعه في مواجهة مع البابوية . أما الكسيوس فقد عقد

(١) حسن حبشي ، المرجع السابق ، ص ٣٩-٤٢ ؛ Pierre Aube, Les Empires normands d'Orient, p.33-57 .

(٢) باري Bari ميناء جنوب شرق شبه جزيرة إيطاليا ، شمال ميناء برنديزي ، قام بدور تجاري مهم مع الشام وفلسطين في العصور الوسطى، Larousse.T. 2, p. 880 .

اتفاقاً مع البندقية^(١) من أجل استخدام سفنها الحربية ضد النورمان. ووقع صلحاً مع سلاجقة الروم ، كل ذلك من أجل أن يكبح جماح النورمان ، ولكنهم هزموه عام ١٠٨١ م ، الأمر الذي أدى إلى تقدمهم في البلقان. غير أن موت جيسكار سنة ١٠٨٥ م أوقف الخطر النورماني^(٢) .

هذه السوابق للنورمان جعلت الإمبراطور الكسيوس كومنينوس حذراً من عناصرهم المشاركين في الحملة الصليبية الأولى وغير واثق من عهودهم ، ولقد صدق حدسه عندما سقطت أنطاكية بأيدي الصليبيين في يوليو ١٠٩٨ م ، فلم يعيدها إلى حظيرة الإمبراطورية البيزنطية طبقاً للاتفاق المبرم . كما سنرى لاحقاً في حديثنا عن الحملة الأولى .

وفي عهد الإمبراطور البيزنطي حنا الثاني كومنينوس John II Comenus (١١١٨-١١٤٣ م)^(٣) تجدد الخوف من استثمار النورمان وجودهم في أنطاكية في محاربة الإمبراطورية البيزنطية من جبهتين البلقان في أوروبا وأنطاكية في الشرق ، ويحدثنا وليم الصوري

(١) البندقية Venezia تقع شمال شرق إيطاليا ، وقد سكنها اللومبارديون في القرن السادس الميلادي ، وكانت تحكم من قبل " دوق " . وقامت بدور تجاري مع مصر والشام ، وعسكري خلال الحروب الصليبية . Larousse.T. 22, p. 9449,9454 .

(٢) أنظر : جوزيف نسيم يوسف ، المرجع السابق . ص ٢٠٩-٢٠٨ .

Pierre Aube, Les Empires normands d'Orient .p. 73 - 97

Diehl, L'Empire byzantin .p. 150 - 151 .

(٣) الإمبراطور البيزنطي حنا الثاني كومنينوس هو ابن الكسيوس الأول كومنينوس ، حكم من عام ١١٤٣-١١١٨ م) . Larousse.T. 5, p. 2081 .

Guillaume de Tyr (١١٣٠-١١٨٦ م) ^(١) أن روجر الثاني Roger II ملك صقلية (١١٢٩-١١٥٤ م) ^(٢) كان يخطط لمد نفوذه إلى أنطاكية، فانتهاز وفاة بوهيموند الثاني Bohemond II أمير أنطاكية (١١٢٦-١١٣٠ م) ^(٣)، زاعما أن أنطاكية بملحقاتها حق له بالوراثة، فأرسل أهل أنطاكية سرا إلى ريموند دو بواتيه Raymond de Poitiers (١١٣٦-١١٤٩ م) ^(٤) ليتزوج من كونستانس Constance ابنة بوهيموند الثاني، فحاول روجر منعه من المجيء، لكن ريموند وصل متخفياً إلى أنطاكية، قاطعاً الطريق على مشروع روجر ^(٥).

(١) وليم الصوري Guillaume de Tyr، مؤرخ صليبي، من أصل فرنسي، ولد في صور عام ١١٣٠ م، كان مستشاراً لدى الملك عموري الأول ملك مملكة بيت المقدس، ثم ابنه بلدوين الثالث. أصبح وليم رئيس أساقفة صور عام ١١٧٥ م، ترك تاريخاً مهماً عن الوجود الصليبي في الشرق (١٠٩٥-١١٨٤ م). مات في عام ١١٨٦ م. Larousse.T. 10, p. 4396.

(٢) ولد روجر الثاني Roger II ملك صقلية، عام ١٠٩٥ م، كونت صقلية (١١٠١-١١٢٧ م)، دوق بوي وكالبر (١١٢٧-١١٣٠ م)، أصبح أول ملك لصقلية عام ١١٣٠ م، كان على خلاف مع البابوية. وتوفي في بالرمو عام ١١٥٤ م. Larousse.T. 19, p. 8129.

(٣) ولد بوهيموند الثاني عام ١١٠٩ م، وأصبح أميراً على أنطاكية عام ١١٢٦ م، وهو ابن بوهيموند الأول من زوجته كونستانس الفرنسية، قتل في معركة ضد السلاجقة عام ١١٣٠ م. Larousse.T. 3, p. 1123.

(٤) ولد ريموند دو بواتيه عام ١٠٩٩ م، أصبح أميراً لأنطاكية عام ١١٣٦ م، وتزوج كونستانس ابنة بوهيموند الثاني، عادى الإمبراطورية البيزنطية، وهزمه نور الدين زنكي، مات عام ١١٤٩ م. Larousse.T. 18, p. 7810.

(٥) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ٣، ص ١٠٣؛ عادل زيتون، المرجع السابق، ص ٢٢٢.

وأمام أطماع روجر استعان حنا كومنينوس بالإمبراطور الألماني لوثير الثاني Lothaire II (١١٢٥-١١٣٧ م)^(١) الذي قاد حملة عام ١١٣٦ م ، فأجبر روجر على الفرار؛ فخلا الجو للإمبراطور البيزنطي ، وسار إلى أنطاكية عام ١١٣٧ م ، إلا أن المسألة النورمانية عادت من جديد على جدول العلاقات الألمانية البيزنطية ، فقد أرسل الإمبراطور الألماني كونراد الثالث Conrad III (١١٣٨-١١٥٢ م)^(٢) ، عام ١١٤٢ م إلى نظيره البيزنطي يعرض عليه تجديد التحالف ضد النورمان ، وقد مكن هذا التحالف حنا كومنينوس من التفرغ لحصار أنطاكية عام ١١٤٣ م^(٣) .

وحين تولى مانويل الأول كومنينوس^(٤) I Comnenus Manuel (١١٤٣-١١٨٠ م) عرش الإمبراطورية البيزنطية ، حدث تطور جديد في العلاقات بين النورمان وبيزنطة ، فقد أرسل روجر

(١) ولد الإمبراطور الألماني لوثير الثاني عام ١٠٦٠ م ، وكان دوق سكسي ، ثم أصبح بمساعدة الكنيسة إمبراطورا ، حالف البابوية ضد أعدائها . تغلب على منافسه كونراد هونستوفين عام ١١٣٥ م . ومات عام ١١٣٧ م . Larousse.T. 13, p. 5588 .

(٢) ولد كونراد الثالث هونستوفين عام ١٠٩٣ م تقريبا ، أصبح إمبراطورا لألمانيا عام ١١٣٨ م مات في بامبرج عام ١١٥٢ م . Larousse.T. 5, p. 2165 .

(٣) عادل زيتون ، المرجع السابق ، ص ٢٢٣-٢٢٤ .

(٤) ولد الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنينوس عام ١١٢٢ م ، وهو الابن الرابع للإمبراطور حنا الثاني ، هيمن مؤقتا على جنوب إيطاليا (١١٥٥-١١٥٦ م) ، وخضع له صليبيو شمال الشام عام ١١٥٩ م . تغلب على الدالاسيا عام ١١٦٨ م ، وعلى صربيا عام ١١٧٢ م . هزمه السلاجقة عام ١١٧٦ م . مات عام ١١٨٠ م ، تاركاً دولة أرمقها المجهود الحربي . Larousse.T. 14, p. 5807 .

الثاني إليه يطلب يد أميرة بيزنطية لابنه ، فاستغل مانويل الفرصة
لاحتواء الملك النورماني ، وبعث إليه سفارة ، لم تسفر عن اتفاق
بسبب إصرار روجر الثاني على معاملته نداء للإمبراطور البيزنطي .^(١)



(١) اسمت غنيم ، العلاقات البيزنطية الألمانية . ص ١٩

الفصل الثاني : موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملة الصليبية الأولى (١١٠١-١٠٩٥م) :

المبحث الأول :

في نوفمبر عام ١٠٩٥ م، دعا البابا أوربان في مؤتمر كليرمون-فيران إلى حملة صليبية تتجه إلى فلسطين لنصرة النصارى وتحرير (ضريح) المسيح . وقد أشار البابا في خطبته إلى الخطر السلجوقي ، قائلا " : إن الأتراك ، وهم شعب فارسي ، قد هاجمواهم كما يعلم الكثيرون منكم . وتقدموا داخل الأراضي الرومانية إلى أن وصلوا إلى ذلك الجزء الذي يدعى ذراع القديس جورج (ضيق البسفور) لقد انتزعوا شيئا فشيئا من أراضي المسيحيين " (١) .

وسارت الحملة الشعبية بقيادة بطرس الناسك Pierre l'Ermite^(٢) ، وجوتيه المفلس Gautier- Sans- Avoire^(٣) ،

(١) فوشيه الشارترى ، تاريخ الحملة إلى القدس ، ص ٣٦ ونلاحظ هنا أن البابا استعمل مصطلح " فرس " للدلالة على السلاجقة ، وهذا يعيد إلى الأذهان أن الأوروبيين في العصور الوسطى كانوا يظنون أي قوة إسلامية تنشأ في العراق أو الأناضول فارسية لأن الصدام الأول بين أوروبا اليونانية كان مع الفرس وهذا يؤكد نظرية " العداء التقليدي بين الشرق والغرب " .

(٢) بطرس الناسك يدعى أحيانا بيير الصغير أو بيير داميان نسبة إلى أميان Amiens شمال باريس ، حيث أسس فيها ديرا ، قائد الحملة الشعبية إلى فلسطين ، وبعد احتلال القدس سنة ١٠٩٩ م ، عاد إلى أوروبا ، حيث مكث في دير أوغسطين في بلجيكا ، وفيه مات . Enc. Thes. Un. p. 2331 .

(٣) جوتيه المفلس : متصوف نصراني ، أسهم مع بطرس الناسك في قيادة الجموع الشعبية نحو الشرق ، قتل في معركة مع السلاجقة ، لا يعرف عنه الكثير . انظر : Larousse.T. 10, p. 4086 .

ويذكر وليم الصوري أن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنينوس استقبل جوتييه وأذن له بالنزول بحشوده قرب أسوار القسطنطينية . وعندما دخل بطرس الناسك الحدود البيزنطية ، وعاثت جموعه فساداً بالقرى والمدن الواقعة في طريقهم أصدر الإمبراطور أوامره بألا يقيموا في كل بلد يمرون به أكثر من ثلاثة أيام ، وأن يغذوا السير « إلى القسطنطينية في انضباط ونظام تامين - حسب قول الإمبراطور - وسندل الجيش على الطريق ، ونعينكم بما تحتاجونه من الطعام بضمن مقبول»^(١) .

مثل بطرس الناسك أمام الكسيوس ، وشرح له أهدافه ، فأعجب الإمبراطور بفصاحته ، وصرفه مُحملاً بالهدايا . ونصحه بالترث إلى حين وصول حملة الأمراء والنبلاء ، لكنه أمام فوضى هذه الحملة ، أمر بنقلهم إلى الشاطئ الآسيوي في ٥ أغسطس عام ١٠٩٦ م ، ولم يستطع بطرس السيطرة على الوضع ، حيث تقدمت فرقة من حملته إلى نيقية ، وفيها تمكن السلاجقة من إبادةتها ، وكان من بين القتلى جوتييه المفلس^(٢) . ويشير المؤرخ الرهاوي بإصبع الاتهام إلى الكسيوس بأنه " أنذر الأتراك الذين كانوا في نيقية وما جاورها ، وأخبرهم بقدم هؤلاء ، وطلب منهم أن يهاجموهم " ^(٣) .

(١) وليم الصوري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٥ ، ١٢٣ .

(٢) وليم الصوري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٤ - ١٢٦ .

(٣) عند : سهيل زكار ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٤ .

ولقد استجاب لنداء البابا عدد كبير من الأمراء والنبلاء والفرسان في غرب أوروبا ، ومنهم جودفروا دو بويون Godefroi de Bouillon (١٠٥٨ - ١١٠٠ م) دوق اللورين ^(١) الذي قاد جيشا من بلاد اللورين ، ومعه أخوه بلدوين دو بولوني Baudoin de Boulogne (١٠٥٨ - ١١١٨ م) ^(٢) ، والكونت هوج الأول دو فيرماندوا Hugue de Vermandois (١٠٦٨ - ١١٠٢ م) ^(٣) ، الذي تعجل أمره ، واجتاز بفرقة جبال الألب ، وعبر إيطاليا ، إلى البلقان ، وتوقف في دورازو Durazzo ^(٤) منتظرا بقية الحملة ، ولم يدر أنه دخل الأراضي البيزنطية دون إذن ، فقبض عليه ، وحبسه الإمبراطور البيزنطي ، فأرسل الدوق جودفروا يلتمس عفو الكسيوس عن هوج ورفاقه ، فرفض فأطلق جودفروا جيشه ينهب ويخرب كل ما

(١) هو جودفروا الرابع دو بولوني أو بويون ، ولد في بيزي عام ١٠٦٦ م تقريبا ، ابن أوستاش الثاني كونت بولوني ، وورث عمه جودفروا الثالث دوق اللورين فأصبح دوق اللورين الأسفل (١٠٨٩ - ١٠٩٥ م) ، باع دوقيته ، وغادر في الحملة الصليبية الأولى ، وانتخب أول ملك غير متزوج لملكة بيت المقدس (١٠٩٩ - ١١٠٠ م) . Larousse.T. 10, p. 4198 .

(٢) بلدوين دو بولوني هو أخ جودفروا دو بويون ، أصبح أميرا على الرها (١١٠٠ - ١٠٩٨ م) ، وبعد وفاة أخيه ، انتخب ملكا على مملكة بيت المقدس (١١١٨ - ١١٠٠ م) . Larousse.T. 3, p. 928 .

(٣) ولد الكونت هوج الأول دو فيرماندوا عام ١٠٥٧ م ، كونت فيرماندوا (١٠٦٨ - ١١٠٢ م) ، ابن هنري الأول ملك فرنسا ، وزوج أديليد دو فيرماندوا . مات في آسيا الصغرى عام ١١٠٢ م . Larousse.T. 11, p. 4655 .

(٤) دورازو Durres ، ميناء في منتصف الشاطئ الألباني على البحر الأدرياتي . Larousse.T. 1, p. 187 .

مر به من عمران ، حتى اضطر الكسيوس إلى إطلاق هوج ومن معه مقابل أن يضبط جودفروا رجاله .^(١)

وعندما اقترب جودفروا دو بويون من القسطنطينية في ٢٣ ديسمبر عام ١٠٩٦ م ، طلب منه الإمبراطور المشول أمامه فتردد خائفاً ، فأمر الإمبراطور الناس بالانقضااض على حشود الحملة نهباً وحرقاً ، واشتبك الطرفان ، وتأزمت الثقة بين الجانبين ، وفي هذه الأثناء وصل إلى جودفروا خطاب من أمير تورنتو بوهيموند Bohemond de Tarente (١٠٥٠-١١١١ م)^(٢) ، ابن رويير جيسكار ورد فيه : " اعرف يا أعظم الرجال أنك تتعامل مع أحقر الحيوانات ، ومع رجل خسيس كل الخسة ، ليس له من غرض أبداً إلا الخديعة " فرد عليه جودفروا مؤكداً له : " أن الجنس اليوناني المحتال يطوي قلبه على الكراهية العميقة لنا " ، وبعد أن علم الإمبراطور بهذه الاتصالات عمد إلى أسلوب المجاملة ، وأرسل ابنه رهينة ، فقدم جودفروا على الكسيوس في ٨ أبريل ١٠٩٧ م ، فأكرم وفادته^(٣) .

(١) وليم الصوري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٤٥ ، ١٥٤-١٥٥ .

(٢) ولد بوهيموند الأول ابن رويير جيسكار عام ١٠٥٠ م تقريباً ، وأصبح أميراً على أنطاكية (١١٠٤-١٠٩٨ م) ، وقع في أسر الدانشمنديين ثم أفرج عنه بعد ثلاث سنين . قاوم البيزنطيين ، ولكنه أخيراً خضع لهم بعد هزيمته في دورازو . مات عام ١١١١ م في كانوسا . Larousse.T. 3, p. 1123 .

(٣) وليم الصوري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٦٠-١٦٤ ، ١٦٦ .

وصل بوهيموند، وابن أخته تانكريد دوهوتفيل Tancrede de Hauteville^(١)، إلى الأراضي البيزنطية فأوعز الكسيوس إلى عيونه تراقب تحركات النورمان أعدائه التقليديين الذين كانوا يبيتون النية - كما تقول ابنته آن كومينوس^(٢) - للاستيلاء على القسطنطينية، منذ زمن بعيد^(٣). ومما يعزز ذلك تلكؤ بوهيموند في القدوم على الإمبراطور الذي ألح عليه كثيراً، ولكنه بناءً على نصيحة الدوق جودفروا، قابل الإمبراطور يوم ١٦ أبريل ١٠٩٧ م، ولقي منه كل حفاوة، فأعلن بوهيموند تبعيته له، وأقسم على الولاء له^(٤). يقول المؤرخ الفرنسي بيير أوبي Pierre Aube: إن صورة النورماني المتمرد رسول - الذي قضى عليه الكسيوس كما مر بنا في حديثنا عن الصراع مع النورمان - لم تبرح مخيلة الإمبراطور، وهو يتفرس - بريب - في وجه بوهيموند^(٥).

(١) كان تانكريد دوهوتفيل أميراً على الجليل (١٠٩٦-١١١١ م)، ثم على أنطاكية (١١١١-١١١٢ م)، وهو ابن أخ رويسر جيسكار توفي في أنطاكية عام ١١١٢ م. Larousse.T. 21, p. 8920.

(٢) آن كومينوس، أميرة بيزنطية، ولدت عام ١٠٨٣ م، وماتت سنة ١١٤٨ م، وهي الابنة البكر للإمبراطور الكسيوس الأول كومينوس، تزوجت من نقفور، سجلت سيرة والدها في كتاب نسيته إليه "الألكسياد" Larousse.T. 1, . . . Alexiade p. 396.

(٣) عند: سهيل زكار، المرجع السابق، ص ١١٨.

(٤) وليم الصوري، المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٣-١٧٤.

(5) Aube, Les Empires normands d'Orient, p.53 - 57.

وفي ١٤ مايو ١٠٩٧ م ، وصل روبرت الثاني كونت فلاندر Robert II de Flandre ، ^(١) وهو ابن روبرت الأول أمير الأراضي الواطئة الذي قام برحلة حج عام ١٠٨٧ م ، وزار القسطنطينية - كما مر بنا- ووعد الكسيوس بمساعدة عسكرية عاجلة تقدر بخمسمائة فارس ، ولما تباطأ الإمبراطور ذلك أرسل إلى روبرت سفارة يحثه على الوفاء بوعده . ولعل الكسيوس عدّ ابنه كان تلبية لطلبه السابق ، يعضد هذا مسارعة روبرت " الابن " إلى الحلف بين يدي الإمبراطور على التبعية والولاء ^(٢) .

ثم دخل الحدود البيزنطية ريموند دو سان جيل Raymond IV de Saint-Gilles كونت تولوز Toulouse (١٠٨٨-١١٠٥ م) ^(٣) ومعه أديمار دو مونتي Adhemar de Monteil أسقف بوي Puy ^(٤) فأرسل إليه الكسيوس رسالة جاء فيها " ونرجوك رجاءً حاراً أن يكون سيرك عبر بلادنا من غير شغب ولا إزعاج ، وأن تبادر بالمجيء إلينا " وقد وجد دو سان جيل صعوبة في مقابلة الكسيوس بعد

(١) قرر روبرت الثاني كونت فلاندر بعد سقوط القدس عام ١٠٩٩م ، مغادرة فلسطين ، وقد طلب منه جودفروا دو بويون ارسال مدد من أوروبا . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٤٢ .

(2) Brehier . Les croisades, p8 .

(٣) هو ريموند الرابع دو سان- جيل . ولد في تولوز جنوب فرنسا عام ١٠٤٢م ، أصبح كونت تولوز عام ١٠٩٣ م ، توفي وهو يحاصر طرابلس الشام عام ١١٠٥م . Larousse.T. 18, p. 7811

(٤) أديمار دو مونتي ، رجل كنيسة من أصل نبيل ، أصبح أسقف بوي عام ١٠٨٧م ، قام بدور دعائي في الحملة الصليبية الأولى ، مات أثناء حصار أنطاكية عام ١٠٩٨م . Enc. Un. Thes. P. 39 .

اعتداء الحرس الإمبراطوري على قواته ، ولكنه في النهاية مثل أمام الكسيوس أواخر شهر أبريل ١٠٩٧ م ، وأقسم يمين الولاء ، وشمله الإمبراطور بكرمه . ثم تقرر عبور البسفور ، ومعهم القائد البيزنطي تاتيكيوس Tatikios حمايتهم وإرشادهم ، ونصرتهم ^(١) .

عسكرت الحشود الصليبية تساندها القوة البيزنطية المرافقة ، حول نيقية في الثالث من يونيو ١٠٩٧ م ، وفي العشرين من الشهر نفسه استسلمت المدينة للإمبراطور الكسيوس الذي ضمن سلامة السكان ، وعاد بعد ذلك إلى عاصمته ، بعد أن اتهمه الصليبيون كما يقول وليم الصوري - بنقض الاتفاقية التي نصت على إعادة كل مدينة بيزنطية يحررونها إليه ، أما الغنائم فتكون للجيش الصليبية لقاء جهودهم ، وتعويضاً لهم على نفقاتهم . وهذا مدار خلافهم ، وما أثار مخاوفهم عودة الإمبراطور البيزنطي مصطحباً معه أسرة السلطان السلجوقي قلع أرسلان الأول (٤٨٥-٥٠٠هـ / ١٠٩٢-١١٠٧م) ^(٢) ، ثم لم يلبث أن أعادها مكرمة إلى السلطان السلجوقي ، وعد الصليبيون هذا التصرف استرضاء للسلاجقة ، وتشجيعاً لمدنهم على الاستسلام للإمبراطور لا لقادة الحملة على غرار ما صار لنيقية ^(٣) .

(١) وليم الصوري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٧٥-١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ١٩١

(٢) هو قلع أرسلان بن سليمان بن قتلмыш ، هزم ريموند دو سان جيل سنة ٤٩٤ هـ ، مات غرقاً في معركة مع جاولي صاحب الموصل في ٢ من ذي القعدة سنة ٥٠٠ هـ . انظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٧٤ ، ٣٤٣ ، ٤٣٠

(٣) وليم الصوري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

حث الغزاة الخطى نحو دوريلي Dorylee (آسكي شهر)^(١) فاقتحموها في مستهل يوليو ١٠٩٧ م / ٢٠ رجب ٤٩٠ هـ ، وقتلوا عدداً كبيراً من السلاجقة : " وأسروا ونهبوا وسبوا - حسب رواية ابن القلانسي - واشترى ملك الروم ، من السبي خلقاً كثيراً ، وحملهم إلى القسطنطينية " .^(٢) ، ويقول المؤرخ الفرنسي رنيه جروسليه : " إن معركة آسكي شهر حسمت موازين القوى في منطقة الشرق الأوسط قرناً من الزمان لصالح الصليبيين " .^(٣)

في ٢١ أكتوبر ١٠٩٧ م / ٤٩١ هـ ، حاصر الصليبيون أنطاكية ، ومعهم القائد البيزنطي تاتيكوس الذي كان ينتظر احتلالها ليردها إلى سلطة سيده الكسيوس ، وهذا ما جعل الأمير النورماني بوهيموند يخطط لأن تكون أنطاكية له ، ولا يتأتى ذلك إلا بإبعاد تاتيكوس ، فلجأ إلى الحيلة ، وأخبره أن الزعماء الصليبيين يدبرون مؤامرة لاغتياله ، فقرر القائد البيزنطي مغادرة ميناء أنطاكية في فبراير ١٠٩٨ م^(٤) .

ولا نعتقد أن هذه الحيلة انطلت على تاتيكوس ليختار الرحيل ؛ لأنه لا يملك اتخاذ القرار دون علم سيده ، ولكن ثمة أسباباً اجتمعت منذ مرافقته الحملة إلى حصار أنطاكية ، كانت وراء بروز قناعة بيزنطية بأن

(١) دوريلي Dorylee ، مدينة تسمى اليوم " آسكي شهر " جنوب غرب أنقرة في . Larousse.T. 21, p. 9294 .

(٢) ابن القلانسي ، تاريخ دمشق ، ص ٢١٨

(3) Grousset, L'epopee des croisades, p. 23 .

(4) Grousset, Histoire des croisades, T.I.p.225 .

لا جدوى من وفاء زعماء الحملة ، وأن أزمة الثقة زادت فجوتها بين الجانبين ، مما أنذر باصطدام الجانبين لتنافر المصالح ، وتباين الأهداف .
يضاف إلى ذلك ما عاناه المحاصرون من مجاعة ومرض .

ويعلق وليم الصوري على موقف القائد البيزنطي فيقول : " كان الإمبراطور كما قلنا من قبل قد عين تاتيكيوس نائباً عنه ، ومرشداً للحجاج أثناء زحفهم ، فظل حتى هذه اللحظة مصاحباً للعسكر الحجاج ، أما الآن وقد رأى المصاعب المحدقة بهم فقد ساوره الخوف .
لجن طبع عليه . ألا يستمر القادة في حجهم " فادعى أنه راجع إلى سيده لجلب جيش لجب ، ومؤن وافر ، تعين الحملة على اقتحام أنطاكية " ، ورحل تاتيكيوس مدعياً أنه عائد إليهم عن قريب ، لكنه لم يأت بعد ذلك أبداً ، فدل ذلك على لؤم نفسه ، وخبث طويته ، ونكته لعدهه " ^(١) .

وما رواه المؤرخ المجهول المرافق للحملة ، صاحب كتاب " أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس " ^(٢) أكثر وضوحاً من رواية وليم الصوري . إذ يقول المجهول : " إلا أن الخبر ترامى إلى عدونا تاتيكيوس بأن جيوشنا من الأتراك زاحفة علينا فاستبد به الفرع الشديد "

(١) وليم الصوري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٩٨-٢٩٩ .

(٢) المؤرخ المجهول المرافق للحملة ، صاحب كتاب " أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس " قيل إن اسمه اسكندر ، من أصل فرنسي ، كان كاتب وقسيس إتيان دو بلوا ، أسهم في الجانب النورماني من الحملة الصليبية الأولى . والخلاف بين المؤرخين حول شخصيته كبير . انظر : المؤرخ المجهول ، أعمال الفرنجة ، مقدمة حسن حبشي ، ص ٩-١٠ .

فتحليل عليهم بأنه ذاهب إلى سيده وسيعود على متن سفن مثقلة بالطعام والرجال والعتاد ، وحث يمينه ^(١) .

والذي نميل إليه أن تاتيكيوس رحل تحاشياً للصدام مع قوة الموصل التي كانت في طريقها إلى أنطاكية بقيادة كربوقا ^(٢) ، وهذه سياسة تنتهجها الإمبراطورية البيزنطية في تعاملها مع القوى الإسلامية في المنطقة ، وهو الأسلوب الذي اتبعه الإمبراطور الكسيوس الذي كان متجهاً إلى أنطاكية ، لكنه عاد عندما علم أنها محاصرة من كربوقا .

وبرحيل تاتيكيوس ، لم يعد أحد يمثل البيزنطيين في هذه الحملة ، ولعل من الضروري تأطير موقف الكسيوس كومنينوس من زعماء الحملة الأولى ، فهل فوجئ بحجم هذه القوات التي وصلت إلى بلاده؟ كما قالت ابنته آن : " فإن الإمبراطور البيزنطي لم يكن على علم بهذا الحشد العسكري الكبير ، ومبعث هذه المفاجأة خوفه من جشع الفرنجة ، وغدرهم ، وسوء نواياهم ، مما يشكل خطراً على دولته " ^(٣) . وهذا أمر لا يعقل إذ إن الحدود البيزنطية كانت محكمة ولا يتجاوزها أحد إلا بعلم الإمبراطور وإذنه كما مر بنا . وهل كان الكسيوس ضد المشروع الصليبي الهادف إلى احتلال فلسطين أم أنه

(١) المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص ٥٦

(٢) هو قوام الدولة أبو سعيد كربوقا ، حكم الموصل في ذي القعدة عام ٤٨٩ هـ . وتوفي في ذي القعدة عام ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م ، في فارس . ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٥٨ - ٣٤١ .

(٣) عند : سهيل زكار ، المرجع السابق ، ص ١١١ ، ١١٥

كان يتمنى انتصار الصليبيين في الشام ، وعودة مدنه التي فتحها المسلمون إليه ، وفي الوقت نفسه يخشى من استشارة السلاجقة وهو الذي يرى في مسألتهم إستراتيجية أمنية لإمبراطوريته ؟ وللإجابة عن هذا التساؤل ينبغي هنا أن نفرق بين مرحلتين: المرحلة الأولى تمتد من دخول الحشود الصليبية الحدود البيزنطية إلى عبورهم البسفور ، وهذه مرحلة صعبة اكتنفتها الشكوك بالنوايا ، والخوف من استيلاء هذه الجحافل على القسطنطينية ، فكان لزاماً على الإمبراطور البيزنطي - وهذا حق له - أن يتخذ من الإجراءات ما يكفل سلامة بلاده ، وسرعة ترحيل الحملة إلى الجانب الآسيوي ، فسارع إلى انتزاع أيمان غلاظ منهم بالولاء له والتبعية لتأجه ما داموا في أراضيه حتى أنطاكية . ولعل من المناسب هنا إيراد رأي ابن الأثير الذي حلل حرص الكسيوس على ترحيل الصليبيين إلى آسيا الصغرى : " وكان قصده أن يحثهم على الخروج إلى بلاد الإسلام ، ظناً منه أن الأتراك لا يبقون منهم أحداً ، لما رأى من صرامتهم وملكهم البلاد " (١) .

وتلخص لنا آن كومنينوس الإجراءات التي اتبعها والدها مع أفواج الصليبيين منذ دخولهم بلاده وحتى اجتيازهم المضيق ، فتذكر أنه أصدر أوامره إلى قادة الجيش بحسن استقبال الغربيين ، وتأمين الأقوات والمؤن لهم ولدوابهم ، ومنعهم من الانحراف عن الطريق المرسوم ، وزود قادة الجيش بترجمين ليكونوا وسطاء بينهم وبين قادة الحملة (٢) .

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ٢٧٣

(٢) عند : سهيل زكار ، المرجع السابق ، ص ١١٤ .

شهادة من المؤرخ المجهول الذي رافق الحملة الأولى ، ووصف همجية الصليبيين بقوله : " فسار المسيحيون أسوأ سيرة ، إذ خربوا قصور المدينة [القسطنطينية] وأضرموها فيها النيران وخلعوا الرصاص الذي كانت تغطي به الكنائس وباعوه للإغريق " ^(١) .

المرحلة الثانية وتبدأ من وصول الحملة إلى آسيا الصغرى مروراً باحتلال نيقية وقونية ^(٢) وتنتهي بحصار أنطاكية ، وقد سيطرت الحالة النفسية القاسية التي ولدتها الأحداث ، وسوء الظن في نفوس الصليبيين ، فلم يستطع الكسيوس إقناعهم بحسن نيته ، ولم يكن على استعداد بأن يتنازل عن دوره كإمبراطور ، يهمله استرجاع ما ضاع من دولته دون أن تختل موازين القوى في منطقته ، لذا تصرف مع السلاجقة بما هو متعارف عليه ، وبما يجهله الصليبيون من أساليب عللوها دائماً بسوء الطوية والخيانة ، غذى هذا الشعور اختلاف المذهب . وقد وجد الكسيوس صعوبة في التفاهم مع عرقيات مختلفة ، لا تخضع لقيادة موحدة ، لذلك حاول أن يتجنب الاصطدام بهم ، وسهل لهم العبور إلى الشرق ، وهو يدرك سلفاً خطورة مشروعاتهم الصليبي ، لذا لم يتورط في المراحل التي أعقبت سقوط أنطاكية . أما أن كومنينوس فاعتبرت النورمان وراء كل فوزى وسبب كل هزيمة فقد ذكرت أن تعدادهم كان عشرة آلاف وأنهم قاموا بمجازر حول نيقية ، ووصفتهم بالأبالسة النورمان ^(٣) .

(١) المؤرخ المجهول ، المصدر السابق ، ص ١٩

(٢) قونية Konya مدينة تركية ، تقع شمال جبال طوروس ، وجنوب أنقرة ، على الطريق المتجه إلى أضنة فحلب . Larousse.T. 21, p. 9294 .

(٣) عند : سهيل زكار ، المرجع السابق ، ص ١١٥-١١٦ .

وقد يتساءل البعض لم لم يصحب الكسيوس الجموع الصليبية إلى آسيا الصغرى؟ وقد أجابت على ذلك ابنته آن كومنينوس بقولها : "كان لدى الكسيوس الرغبة في الذهاب برفقة الحملة ضد التركمان[السلجقة] الكفار ، لكنه أقلع عن المشروع بعدما ناقش الموضوع وتمعن به ، ووازن بين الفوائد والمضار: فقد لاحظ أن الجيش الروماني[البيزنطي] لا حول له ولا طول ، صغير العدد بالمقارنة مع التعداد الهائل لحشود الفرنجة ، وكان يعرف من طول التجربة كيف أنه لا يمكن الوثوق بالفرنجة . . . إنه قدم كل ما يمكن من المساعدات للفرنجة ، كما لو أنه كان معهم فعلاً " (١) .

أمر آخر يتعلق بموقف الكسيوس من بوهيموند قبل سقوط أنطاكية وبعده ، فقد وجد فيه الإمبراطور - رغم عدائه للنورمان - الفارس الطموح الذي سيعيد إليه أملاك بيزنطة ، فقربه وأغدق عليه فأدرك بوهيموند المغزى وبادر الإمبراطور - حسب رواية آن كومنينوس - قائلاً : " لقد كنت آنذاك عدواً ، لكنني قدمت الآن بمطلق حريتي وإرادتي لأكون صديقاً لك يا صاحب الجلالة وتقول أن : إن بوهيموند طلب من الكسيوس تعيينه " دمستق[حاكم] الشرق " فمناه ولم يعده لأنه يخشى أن يستغل بوهيموند هذا اللقب في إخضاع الحملة لمصلحته الخاصة (٢) .

(١) عند: سهيل زكار، المرجع السابق ، ص ١٤٥

(٢) نفسه، ج ١ ، ص ١٣٥ ، ١٣٨

ولكن بوهيموند أظهر أنه يعمل لحسابه وأنه يخطط لتأسيس إمارة نورمانية ، ووجد في أنطاكية المدينة المناسبة لتحقيق حلمه ، وهذا ما جعل البيزنطيين يتقاعسون في حصار أنطاكية ، وتلخص لنا أن موقف أيها من هذه المسألة فتقول : " ولم يكن لدى الإمبراطور ما يكفي من القوات للتصدي لأعدادهم الكبيرة ، أو لتغيير طباعهم ، أو دفعهم لتبني سياسة حكيمة عن طريق النصيحة والمنطق ، لهذا كله رأى الإمبراطور أنه من غير المفيد متابعة سيره ، فهو قد يفقد القسطنطينية وأنطاكية معا ، بسبب شدة رغبته في الحفاظ عليهما ، وكان يخشى من حشود التركمان الكبيرة " (١) .

وظلت مسألة أنطاكية مثار خلاف بيزنطي- صليبي ، حيث أصر الإمبراطور على استعادة أنطاكية ، وأمام تهديداته ، سلم بوهيموند أنطاكية سنة ١١٠٤ م لابن أخته تانكريد ، وأشاع أنه مات- كما تروي آن- وأقيمت له مراسم جنازة وهمية ، ووضع في تابوت على ظهر سفينة أقلته حيا إلى إيطاليا ، وعندما بلغ مأمنه ، أرسل رسالة إلى الإمبراطور الكسيوس يتهم عليه فيها ، ويعتز بأصله النورماني ، ويؤكد على عداوته للبيزنطيين . (٢) .

ولم يكتف بوهيموند بهذا ، بل استنفذ البابا باسكال

(١) نفسه، ج١، ص ١٦٣

(٢) عند: سهيل زكار، المرجع السابق، ج١، ص ١٨٦-١٨٧ .

ولمزيد من المعلومات حول الصراع البيزنطي- الصليبي حول أنطاكية ، انظر: عامرة الحمد ، الإمبراطورية البيزنطية والأمراء الصليبيون ، " الباب الثالث " .

الثاني Pascal II (١٠٩٩-١١١٨ م) ^(١) ، من أجل دعوة نصارى الغرب الأوروبي إلى قتال الكسيوس زاعماً أنه وراء الكوارث التي حلت بالحملة الأولى وحملة عام ١١٠١ م ، فأرسل البابا إلى زعماء الغرب الأوروبي يطلب منهم الخروج بحملة صليبية ضد الإمبراطور البيزنطي . ثم جال بوهيموند في فرنسا عام ١١٠٦ م ، حيث تزوج كونستاس Constance ابنة فيليب الأول Philipp ملك فرنسا (١٠٦٠-١١٠٨ م) ^(٢) ، الأمر الذي منحه تأييداً فرنسياً في صراعه مع الكسيوس ، فقد في أكتوبر ١١٠٧ م حملة في البلقان ولكن الكسيوس هزمه ، فاضطر في سبتمبر سنة ١١٠٨ م إلى إعلان تبعيته للإمبراطور ، وانزوى عن الحياة السياسية حتى مات عام ١١١١ م ^(٣) .

(١) ولد البابا باسكال الثاني عام ١٠٥٠ م تقريبا ، وكان رئيس دير القديس كليمنت ، قاوم الإمبراطور الألماني هنري الرابع ثم الخامس ، ومعه وقع صلحا عام ١١١١ م . وتوفي محاصرا في روما عام ١١١٨ م . Larousse.T. 16, p. 6991 .

(٢) ولد فيليب الأول Philipp ملك فرنسا ، عام ١٠٥٢ م ، وهو ابن وخليفة هنري الأول ، تولت أمه آن دو كييف ، وعمه بلدوين دو فلاندر الوصاية عليه حتى عام ١٠٦٦ م ، ثم دخل في صراعات إقطاعية في الشمال والجنوب . وفي عام ١٠٩٨ م أشرك ابنه لويس السابع ولي العهد في الحكم . طلب العفو من الكنيسة عام ١١٠٤ م ومات عام ١١٠٨ م . Larousse.T. 17, p. 7199 .

(٣) عامرة الحمد ، الإمبراطورية البيزنطية والأمراء الصليبيون ، ص ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٦٨

المبحث الثاني : حملة سنة ١١٠١ م :

قبل أن ننهي حديثنا عن الحملة الأولى يحسن بنا أن نعرض على ذكر موقف الإمبراطور البيزنطي من حملة عام ١١٠١ م ، التي لا تعد حملة مستقلة لأنها أعقبت الحملة الأولى مباشرة ، دون فاصل زمني يذكر ، لذا اعتبرها مؤرخو الحروب الصليبية مدداً للحملة الأولى .

ربما يكون البابا باسكال الثاني ، قد تأثر من الاتهامات التي حملها إليه العائدون من الشرق ضد تقاعس بيزنطة عن مساعدة الحملة الأولى ، فخشي على زوال المكاسب التي حققها الصليبيون في الشام وفلسطين ، آخرها احتلال القدس في ٢٢ شعبان ٤٩٢ هـ / ١٥ يوليو ١٠٩٩ م ، بعد أن ترمى إلى سمعه الفرق العسكرية التي ترسلها مصر إلى فلسطين . فدعا إلى إعداد مدد للحملة الأولى ، واستجاب له آلاف من شعوب غرب أوروبا كان في طليعتهم اللومبارديون ، الذين غادروا إيطاليا في سبتمبر ١١٠٠ م بقيادة البيرت كونت بلاندرات Albert de Blandrate ، ووصلوا القسطنطينية ، فأحدثوا قلاقل حولها ، فاضطر الكسيوس إلى جمعهم في معسكر ، وقرر في مارس ١١٠٠ م ، ترحيلهم إلى الشاطئ الآسيوي ، لكنهم - عندما علموا بأن ثمة مجموعات صليبية قادمة - رفضوا العبور انتظارا لها ، فقطع عنهم الإمبراطور المؤن ، فاندفعوا إلى وسط العاصمة ، قاصدين القصر الإمبراطوري ، غير أن الكونت بياندرات هدا من الوضع ، واعتذر للإمبراطور . واستطاع ريموند دو سان جيل الذي كان في زيارة

للقسطنطينية التوسط في الأمر ، وعبر اللومبارديون البسفورفي أبريل ،
ورابطوا قرب نيقوميديا^(١) انتظارا لوصول المدد . وفي ربيع عام
١١٠١ م ، خرج جيش بقيادة إتيان دو بلوا Etienne de Blois^(٢)
قوامه عشرة آلاف من الفرنسيين ، وكان إتيان ممن أسهم في حصار
أنطاكية لكنه عاد قبل سقوطها ، فأراد أن يكفر عن خطيئته ، وانضم
إليه عدد من الكونتات منهم : هوج دو فيرماندوا شقيق الملك الفرنسي
فيليب الأول ، وكونراد عميل الإمبراطور الألماني هنري الرابع ، وبلغوا
القسطنطينية في مايو من العام نفسه ، وقد سر الفرنسيون عندما أسند
الكسيوس القيادة الموحدة إلى الفرنسي سان جيل ، وعبروا ليلتقوا
باللومبارديين الذين قبلوا- على مضض- بالقيادة الفرنسية ، تساندهم
قوة من المرتزقة الأتراك بقيادة البيزنطي تسيثاس Tzitas^(٣) .

وكان اللومبارديون أكثر نفيراً ، ولا يدينون إلا لبوهيموند
النورماني الذي وقع في أسر الملك الغازي كمشتكين الدانشمند(٤٧٧-)

(١) نيقوميديا Nikomedeia ، مدينة في تركيا تسمى اليوم إزميت على الطرف
الشرقي للبحر الأسود . Larousse.T. 15, p. 6510 .

(٢) تزوج إتيان دو بلوا من أديل Adele ابنة وليم الفاتح ، انتخب رئيساً
للجيش الصليبي بعد احتلال نيقية ، عاد إلى أوروبا أثناء حصار أنطاكية عام
١٠٩٨ م ، وأمام سخيرة أقاربه وزوجته عاد في حملة سنة ١١٠١ م ، وقتل في
معركة الرملة الثانية سنة ١١٠٢ م . جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم واللاتين ،
ص ٢١٥ .

(٣) رنسيمان ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٨-٤٢ ؛ Grousset,Histoire des
croisades,t.11,p.149-150 .

٥٢٩هـ / ١٠٨٤-١١٣٤م) ^(١) صاحب ملطية وسيواس في رجب عام ٤٩٣هـ / أغسطس ١١٠١م فقرروا التوجه إلى " قلعة نكسار " ^(٢) شمال شرق الأناضول. ^(٣) . فأراد ريموند ثنيهم عن ذلك فرفضوا ، فاضطر إلى مجاراتهم ، وفي الطريق عرج على أنقرة فاحتلها في ٢٣ يونيو ١١٠١م ، ثم سلمها للمندوب البيزنطي ، وتابع المحاربون السير ، لكنهم هزموا أمام الدانشمنديين في معركة قرب أماسيا ^(٤) في ٥ أغسطس ١١٠١م / ٤٩٢هـ ، هزم الدانشمنديون الصليبيين ، وقتلوا منهم آلاف ، وفرت الفرقة التركية المرتزقة ، ومعها قائد الجيش الصليبي ريموند . وفي منتصف يونيو ١١٠١م ، وصل إلى القسطنطينية ، جيش فرنسي بقيادة جيوم الثاني كونت نفيير Guillaume II de Nevers

(١) ينتمي الملك الغازي كمشتكين الدانشمند إلى الدانشمنديين ، وهي قبيلة تركمانية ، تنسب إلى الملك دانشمند أحمد غازي ، وهو قائد من قادة ألب أرسلان ، أسس دولة الدانشمنديين سنة ٤٦٦ هـ / ١٠٧١م ، وفي عهده أسر بوهموند الأول أمير أنطاكية . وفي سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤م ، قضى قلع أرسلان الثاني على الدانشمنديين في سيواس . وعلى الدانشمنديين في ملطية عام ٥٧٣ هـ / ١١٧٧م . أحمد السعيد سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ، ج١ ، ص ٣٢٧-٣٢٦ .

(٢) تقع " قلعة نكسار " شمال شرق الأناضول . قرب أماسيا انظر: ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٩٠

(٣) ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٣-٢٢٤ ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣٠٠

(٤) أماسيا Amasya مدينة في تركيا ، شمال شرق أنقرة ، تشتهر بجامعها الكبير الذي بناه السلطان بايزيد الثاني عام ١٤٨٦م . Larousse.T. 1, p. 293

١٠٨٩-١١٤٧ م^(١) ، وعبر إلى آسيا الصغرى ، وبالقرب من هرقله^(٢) انقض عليهم السلاجقة والدانشمندیون وقضوا عليهم في أواخر أغسطس ، ووصل الناجون منهم إلى أنطاكية في سبتمبر من العام نفسه .

وكان جيوم التاسع دوق أكييتن Guillaume d'Aquitaine IX (١٠٧١-١١٢٧ م)^(٣) ، قد خرج من جنوب فرنسا في حملة إلى الشرق وفي الطريق انضم إليه وولف الرابع دوق بافاريا Welf IV de Baviere^(٤) وقد استقبلهم الكسيوس بحفاوة وعبرت الحملة البسفور بأعداد غفيرة قدرت بستين ألف محارب في مستهل يونيو ١١٠ م ، وكان السلاجقة والدانشمندیون بانتظارهم ، حيث قضوا عليهم في ١٥ سبتمبر ، ولم ينج سوى الدوقين اللذين فرا إلى أنطاكية ، وصحبهما إليها هوج الأول دو فيرماندوا الذي كان قد جرح في معركة هرقله ، لكنه مات في الطريق من أثر الجراح^(٥) .

(١) جيوم الثاني كونت نفير في وسط فرنسا ، ويقول المؤرخ ميشو إن روبرت أخو جيوم كان أول الهاربين من المعركة ، ثم تبعه الكونت إلى أرمينية الصغرى ، وقد استولى السلاجقة على آلاف النساء والأطفال ، والغنائم من أموال وخيام . Michaud, Histoire des croisades, t. 1, p. 386 .

(٢) تقع هراقلة Heracles على الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأسود شمال تركيا الآن : انظر Atlas Historique, p. 96 .

(٣) ولد جيوم (وليم) التاسع دوق أكييتن عام ١٠٧١ م ، وأصبح كونت بواتيه ، ودوق أكييتن وجاسكوني (١١٢٧-١٠٨٦ م) ، ابن جيوم الثامن ، كان واحدا من أبرز الشعراء . Larousse.T. 10, p. 4393 .

(٤) كان وولف الرابع دوق بافاريا ، قد عزم على البقاء في فلسطين ، ويقال إن كونراد لم يكن ليعزم على المسير لولا أنه علم بتحريك منافسه وولف . رنسيما ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٠ ، ٤١٢ .

(5) Grousset, Histoire des croisades, t p 151-158 .

أما القادة الآخرون ومنهم سان جيل واتيان دوبروا ، والبيرت دو بلاندرات ، وكونراد ممثل الإمبراطور الألماني هنري الرابع فقد عادوا في يناير ١١٠٢م إلى القسطنطينية ، وأخبروا الإمبراطور بما حدث ، ثم غادروا إلى أنطاكية ، وفي الميناء قام فارس صليبي باعتقال سان جيل بتهمة خيانة الجيوش الصليبية وسلمه لأمير أنطاكية تانكريد^(١) .

لقد أشار الصليبيون بإصبع الاتهام إلى ريموند دو سان جيل ، باعتباره مسؤولاً عما حدث لهم من مصائب ، لذلك سارعوا إلى اعتقاله ، وإذا كان سان جيل متهماً فلا بد أن تطال التهمة الكسيوس لأنه هو الذي عين سان جيل قائداً عاماً للحملة . وهذا ما ذهب إليه وليم الصوري بقوله : " ثم جاءوا إلى الإمبراطور يستأذنونهم في الرحيل ، فسخا عليهم بالهدايا الغالية ، وخرجوا مجتازين البسفور... لقد عامل الإمبراطور الحجاج كما قلنا- أطيّب معاملة حينما كانوا عنده ، لكنه نهج نهج الإغريق المألوف ، فأكل الحسد قلبه من نجاح الصليبيين ، وعزم على إنزال المضرة بهم ، ومن ثم وإلى بعث الرسل إلى الترك يحثهم للعمل على ما فيه القضاء على الحجاج"^(٢) . لكن وليم الصوري - بعد هجومه على الإمبراطور- علل فشل هذه الجيوش التي يسميها حجاجاً ، بتفرقها ، فكانت " أشبه بذرات الرمل لا ترابط بينها " ، وبافتقارها إلى التنظيم ، وبتفشي روح

(1) Grousset ,Ibid ,t. II.p 161 - 162 .

(٢) وليم الصوري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

الكراهية بينهم^(١) .

ولم يكن الإمبراطور وراء ما حل بهم من هزائم ، بدليل حسن استقباله لهم ، ووضعهم تحت قيادة موحدة ، وتزويدهم بفرقة تركية مرتزقة ، ولعله أراد منها إرشاد المحاربين إلى السبل الآمنة ، ولكن اللباردين أرادوا أن يستثمروا هذه الفرقة لفك أسر بوهموند الذي ينتمي إلى عنصرهم . وقد اتهمت المؤرخة جوناثان ريلي - سميث ، اللباردين بأنهم أثاروا الشغب منذ وصولهم القسطنطينية مما أخرج قادة الجيوش الأخرى ، وأنهم غيروا مسار الحملة إلى قلعة نكسار ، وكانوا يفكرون بحصار بغداد^(٢) .

(١) نفسه، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

(٢) جوناثان ريلي - سميث ، الحملة الصليبية الأولى ، ص ٢٣٥-٢٣٧ .

الفصل الثالث : موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة

الحملة الثانية (١١٤٧-١١٤٩م) :

عندما استرد عماد الدين زنكي (٥٤١-٥٢١هـ / ١١٤٦-١١٢٧م) ^(١) الرها ^(٢) في ٦ جمادى الآخرة ٥٣٩هـ / ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م ، خشي الصليبيون أن يكون ذلك بداية للقضاء على ممالكهم في الشام وفلسطين فأرسلوا هوج Hugues أسقف جبلة إلى أوروبا يستصرخ البابا أوجين الثالث Eugene III (١١٤٥-١١٥٣م) ^(٣) الذي كلف (القديس) برنارد دو كليرفو Bernard de Clairvaux (١٠٩٠-١١٥٣م) ^(٤) بالإعداد لحملة صليبية ، وافتتح لويس السابع Louis VII

(١) هو الأتابك زنكي عماد الدين بن قسيم الدولة الحجاب آق سنقر، من أصل تركي، ولد عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م، وقتل وهو يحاصر قلعة جعبر عام ٥٤٤هـ / ١١٤٦م. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٥٠.

(٢) الرها أو Edesse مدينة جنوب تركيا تعرف اليوم بـ"أورفا" Urfa ، بناها السليوقيون، واحتلها الرومان، قدسها النصراني منذ منتصف القرن الأول الميلادي، اشتهرت مدرستها اللاهوتية في القرنين الرابع والخامس الميلاديين. . Larousse.T. 7, p. 3043

(٣) البابا أوجين الثالث Eugene III (١١٤٥-١١٥٣م)، كان راهبا في دير كليرفو، وكان اسمه برناردو باجانيللي دي مونتيمانيو، مات في تيفولي عام ١١٥٣م. Larousse.T. 8, p. 3459-3460 .

(٤) ولد برناردو كليرفو قرب ديجون وسط فرنسا عام ١٠٩٠م، م، وهو مؤسس دير كليرفو وأول رئيس له، تولى مهمات دينية عدة، رعا أعضاء منظمة الهيكلين "الداوية" وتوفي في كليرفو عام ١١٥٣م. ويحتفل النصراني بعيده في ١٥ يونيو. Larousse.T. 3, p. 1015 .

ملك فرنسا (١١٣٧-١١٨٠ م)^(١) برنامج الحملة في ٢٥ ديسمبر ١١٤٥ م ، وتولى برنارد تحريض جموع غفيرة للسير نحو الشرق ، كما أقنع الإمبراطور الألماني كونراد الثالث إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، بالإسهام العسكري في هذه الحملة ^(٢) .

وتعود علاقة كونراد الثالث بالبيزنطيين إلى عام ١١٤٠ م تقريباً ، حين أرسل إليه الإمبراطور البيزنطي حنا الثاني كومنينوس ، طالبا زوجة لابنه مانويل من البيت الإمبراطوري ، فاختر كونراد برثا فون سلزباخ ، أخت زوجته ، على أن يرتب للزواج خلال العامين المقبلين ، وفي عام ١١٤٢ م انتقلت الأميرة برثا إلى القسطنطينية وأقامت في القصر الإمبراطوري تمهيدا لإعلان زواجها ، ولكن حنا الأول كومنينوس مات عام ١١٤٣ م ، وخلفه ابنه مانويل الأول الذي أرسل إلى كونراد سفيره نقفور Nicephore لبحث موضوع إعلان الزواج وتجديد التحالف بينهما ، وتزويده بخمسمائة فارس ألماني يرابطون في القسطنطينية ، فرد عليه كونراد بالموافقة على إعلان الزواج ، وتجديد التحالف بينهما ووعدته بإرسال حوالي ثلاثة آلاف فارس ، وطلب من مانويل منحه أرضاً لإقامة كنيسة للجالية الألمانية في العاصمة البيزنطية

(١) ولد لويس السابع " الشاب " عام ١١٢٠ م ، ابن لويس السادس ، تصادم مع البابا انوسنت الثاني ، نجح في توطيد حكمه بمساعدة رجال الدين ، وساند البابا الكسندر الثالث ضد فريدريك بربروسا . وبزواجه من الينور الأكيثينية ، تمكن من ضم إقليم أكيثين جنوب غرب فرنسا عام ١١٥٢ م . ومات في باريس عام ١١٨٠ م .
Larousse.T. 13, p. 5593 .

(٢) سعيد البرجاوي ، الحروب الصليبية في المشرق ص ٣٩٣-٣٩٦ .

وتعهد له بكبح جماح روجر الثاني ملك صقلية ، واستعادة ممتلكات البيزنطيين في إيطاليا . وقد أعلن الزواج في كنيسة سانت صوفيا يوم ٦ يناير ١١٤٦ م ، الكنيسة الأرثوذكسية اسماً يونانياً هو ايرين Ireen^(١)

عندما بلغ كونراد نهر الدانوب ، كلف الإمبراطور مانويل قائده ميخائيل اكسيركسي Michael Xerexy بنقل تسعين ألفاً من الجنود الألمان على مراكب بيزنطية إلى الضفة الأخرى للنهر وذلك في ٢ يوليو ١١٤٧ م . ، إلا أن موقف الإمبراطور البيزنطي تغير فور وصول الجيش الألماني إلى الأراضي البيزنطية رغم علاقاته الخاصة بكونراد ، ويرجع السبب إلى أن مانويل كان ينتظر من كونراد اتخاذ إجراءات عسكرية ضد النورمان لا القيام بحملة على الشرق ، ثم إن غياب الإمبراطور الألماني في الشرق سيتيح للنورمان فرصة الهجوم على الأراضي البيزنطية . وهو ما حصل بالفعل في خريف عام ١١٤٧ م ، يضاف إلى ذلك أعمال الشغب والنهب والسلب التي بدرت من الجنود الألمان . وقد اعتذر كونراد عن هذه التصرفات إلا أن لهجة مانويل في رسائله المتبادلة مع كونراد كانت تتسم بالتهكم والسخرية من مستوى الجيش الألماني وقائده^(٢) .

يذكر المؤرخ الصليبي وليم الصوري أن الإمبراطور مانويل زود كونراد بمرشدين وأدلاء حتى لا يضل السبيل في آسيا الصغرى : " غير أن هؤلاء الرجال ما لبثوا أن برهنوا على أنهم ليسوا أهلاً للثقة ،

(١) اسمت غنيم ، العلاقات البيزنطية الألمانية ، ص ٢٠-١٨ .

(٢) نفسه ، ص ٢٢-٢٥ ، ٣٧ .

فسلكوا مجاهل وعرة ، وتخففوا من المؤن ، وربما كان هؤلاء المرشدون مدفوعين فيما فعلوه بأمر مولاهم أو برشوة رشاهم بها الترك " .
ورغم أن وليم تحاشى التحامل على الإمبراطور البيزنطي إلا أنه أوما إلى احتمال أن تكون المصائب التي مني بها كونراد : " إنما دبرت بعلم الإمبراطور البيزنطي وبأمر منه ، وكان - حسب رأي وليم الصوري - شديد الحسد على الدوام لتقدم الصليبيين " ^(١) .

ولما تعرض كونراد وجنوده ، لهجمات مؤلمة من السلاجقة ، أرسل إليه مانويل يدعوه للعودة إلى القسطنطينية قائلاً له : " حينما كنت موففا صممنا على عدم معاملتك فوق مستوى قيمتك ، وأنت الآن في موقف حرج ، ونحن لا نتردد في الترحيب بعودتك ، بنفس الأشياء التي نشاق للقيام بها من أجل واجب الضيافة ، تجاه صهر هو حاكم لأمة كبيرة ، ولتشاور معنا ناظرين في الظروف الحالية من أجل نداء العقل . ولأننا كذلك على دين واحد جيء إلينا على وجه السرعة ، ودعنا نفكر على الوجه الأكمل بالمفيد لنا " ^(٢) .

أما الملك الفرنسي لويس السابع فيذكر مؤرخ سيرته اود دو دوي Eudes de Deuil أسقف سان دوني (١١٥١-١١٦٢ م) ^(٣) أن سيده

(١) وليم الصوري ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٧٢-٢٧٣ ، ٣٧٦ .

(٢) اسمت غنيم ، المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٣) ولد في دوي على بعد كيلومترات من سان دني في باريس ، رافق لويس السابع ملك فرنسا في الحملة الثانية إلى الشرق ، وتولى مهمات دينية في عهده ، ثم أمضى بقية عمره راهباً في سان دني إلى أن مات في ٨ أبريل ١١٦٢ م .

انظر . Eudes de Deuil, La croisade de Louis VII, P 7 - 9 .

عندما حمل الصليب عازماً التوجه إلى الأرض المقدسة أرسل ممثلاً إلى إمبراطور بيزنطة الذي تحاشى أود ذكر اسمه لأنه ليس على ملته ، وقد حمل ممثل الملك رسالة مطولة وصف فيها الإمبراطور بالقدّيس والأخ والصديق ، وحدد فيها مطالب استجاب لها مانويل . وقد احترّم لويس السابع أنظمة الإمبراطورية البيزنطية ، وضبط جنده وهو يعبر أراضيها ، وبادر بإرسال رسله إلى الإمبراطور مانويل يشكره على حفاوة الاستقبال ، ويتعهد له بالتعاون ، وتسنى له لقاء مانويل في القصر الإمبراطوري حيث حذره من المصير الذي لقيه كونراد أمام السلاجقة ، ولقي ترحاباً من لدن الإمبراطور ، إلا أن مانويل أخر عبور الجيش الفرنسي إلى آسيا ، وقصر فيما التزم به ويعلل أود ذلك بأنه رد على رفض لويس السابع طلباً سابقاً للإمبراطور بالتحالف ضد روجر الثاني صاحب صقلية^(١) .

وعندما علم لويس السابع بالصلح الذي أبرمه مانويل مع سلاجقة قونية ، عده خيانة للقضية الصليبية ، وموقفاً سلبياً ضد الحملة ، إلا أنه اضطر إلى القسم على الولاء للإمبراطور البيزنطي ، لكي يجتاز مضيق البسفور ، متخذاً طريقاً أفضل من ذلك الذي سلكه كونراد ، وفي نيقية انضم إليه الإمبراطور الألماني المهزوم ، ولكن كونراد فضل العودة إلى القسطنطينية ، حيث استقل في مارس ١١٤٨ م ، إلى عكا^(٢)

(١) Eudes de Deuil, Op, p.22, 52-53 . ؛ اسمت غنيم ، العلاقات البيزنطية الألمانية ، ص ٨٢

(٢) عكا ، ميناء فلسطيني على البحر الأبيض المتوسط ، اتخذ الصليبيون بعد استرداد القدس على يد صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧ م ، عاصمة لمملكة بيت المقدس الاسمية ، حتى استردها السلطان المملوكي الأشرف خليل عام ٩٦٠هـ / ١٢٩١ م .

سفنا بيزنطية ^(١) .

وقد أرجع الفرنسيون هزيمة كونراد وجيشه إلى تدبير " صنم القسطنطينية " حسب وصف مؤرخ حملة لويس السابع ، واستفادوا من أخطاء الألمان ، حيث تحاشوا قدر الإمكان هجمات المقاومة الإسلامية ، وتغلبوا على بعضها ، واتهم أود البيزنطين بالتواطؤ مع السلاجقة ، والتعاون على نهب مؤن الحملة ، وغنائمها . وقد اعترف لاندولفوس Landulfus رسول الإمبراطور بأنه كان يراقب سير الحملة متعاوناً مع السلاجقة ^(٢) .

اضطر لويس السابع إلى الإبحار إلى أنطاكية في ١٥ مارس ١١٤٨م/ ٥٤٣هـ ، اتقاءً لضربات السلاجقة ، ثم أبحر منها إلى عكا ، حيث اجتمع هو وكونراد وملك مملكة بيت المقدس بلدوين الثالث Baudouin III (١١٤٣-١١٦٣م) ^(٣) في يوليو من العام نفسه ، حيث تقرر محاصرة دمشق ولكنهم اضطروا إلى الجلاء عنها في ٢٨ يوليو ١١٤٨م/ ١١ ربيع الآخر ٥٤٣هـ ، وعاد كونراد إلى بلاده في مستهل سبتمبر ، أما الملك الفرنسي فقد غادر ميناء عكا في صيف ١١٤٩م ^(٤) .

(١) سعيد عاشور، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٤٨٨-٤٨٩ .

(2) Eudes de Deuil, Ibid,p56,67,73 .

(٣) بلدوين الثالث ، هو ابن الملك فولك دأنجو ، توفي أبوه وعمره إحدى عشرة سنة ، فتولت أمه مليزاند الوصاية عليه ، حاصر دمشق مع الحملة الثانية في ٢ يوليو ١١٤٨م . مات عام ١١٦٢م في بيروت . للمزيد : Grousset, L'epopee des croisades P 132-133,155 .

(٤) لمزيد من التفصيل : انظر : سعيد برجاي ، المرجع السابق ، ص ٣٠١-٢٩٦ ؛

Grousset, Ibid,p 136 -140 .

وكان كونراد قد عاد إلى بلاده مارا بالقسطنطينية ، حيث أقيم احتفال بزواج أخيه هنري دوق أستريا Henry von Styrie ^(١) بالأميرة ثيودورا Theodora ابنة أخ مانويل ، وأثناء إقامته في العاصمة البيزنطية ، عقد في فبراير ١١٤٩ م ، تحالفاً مع الإمبراطور ضد روجر الثاني ملك صقلية ، واتفقا على اقتسام أراضييه في شبه جزيرة إيطاليا ^(٢) .

وإذا أمعنا النظر في موقف الإمبراطورية البيزنطية من قائدي الحملة الثانية : كونراد الثالث إمبراطور ألمانيا ولويس السابع ملك فرنسا ، أدركنا حجم المعاناة التي عاشتها بيزنطة منذ وصول الحشود الألمانية والفرنسية إلى أراضيها وحتى عودتها إلى بلدانها . فقد كان الألمان شرسي الطباع ، وأحدث الفرنسيون فوضى حول القسطنطينية ، مما جعل مانويل يخشى على عاصمته من قائدي الحملة ، وهذا ما شهد به أود مؤرخ حملة لويس السابع ، الذي اتهم مانويل بخداع كونراد واختيار طريق غير آمن له ، بينما الواقع أن كونراد أراد أن يختصر المسافة إلى فلسطين فارتكب خطأ أودى بحياة كثير من جنوده ^(٣) .

ومن جهة أخرى نجد أن مسألة الصراع البيزنطي النورماني قد أثرت في موقف الإمبراطور مانويل من قائدي الحملة ، فهو ناظم على الملك

(١) هنري دوق أستريا ، هو أخ غير شقيق لكونراد ، حضر معه مؤتمر عكا الذي قرر فيه الصليبيون حصار دمشق . رنسيما ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ .

(٢) رنسيما ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٨-٤٥٩ .

(٣) عند : سهيل زكار ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٣٨ ، ٣٥٦ .

الفرنسي لرفضه التحالف معه ضد النورمان ، على حين تغير موقفه من كونراد إيجابا عندما وقعا معاهدة ضد روجر الثاني . ثم إن البيزنطيين بعد ضياع أنطاكية منهم لم يعودوا يرحبون بقدوم حملة جديدة تدعم الوجود الصليبي في الشام ، لذا ألقت مسألة النزاع النورماني- البيزنطي حول أنطاكية بظلالها على موقف الإمبراطور مانويل من الحملة الصليبية الثانية ، فهو من جهة يرى أن مجيء الصليبيين إلى الشرق يعزز روح الاستقلالية عن الإمبراطورية البيزنطية ويفقدها نفوذها في الشام وبخاصة في أنطاكية . ومن جهة أخرى فإن جيشا قدره المؤرخ الرهاوي بثلاثمائة وخمسة وتسعين ألفا ، أثار مخاوف البيزنطيين على عاصمتهم ودولتهم^(١) .

(١) عند : سهيل زكار ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٥٢٣ .

الفصل الرابع : موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة الحملة الثالثة (١١٨٨-١١٩١م) :

في عام ١١٥٢م ، توفي الإمبراطور الألماني كونراد الثالث وتولى الحكم بعده ابن أخيه فريدريك الأول ببروسا Frederic I Barberousse (١١٩٠-١١٥٢م) ^(١) الذي أخذ يخطط لاستعادة مجد الإمبراطورية الرومانية من خلال الاستيلاء على جنوب إيطاليا الأمر الذي جعل البيزنطيين يقفون في صف البابوية والمدن الإيطالية ضد ببروسا ، ولكن الأمر تغير عام ١١٧٧م عندما وقع ببروسا صلح البندقية مع البابوية ^(٢) .

وانتقاما من موقف مانويل ، اتصل ببروسا بالزعيم السلجوقي قلعج أرسلان (٥٥١-٥٨٨هـ / ١١٥٦-١١٩٢م) ^(٣) عدو البيزنطيين ، وناصره ، وقد استطاع أرسلان هزيمة البيزنطيين عام ١١٧٦م فأرسل ببروسا إلى مانويل يسخر منه ومن حلمه بإقامة إمبراطورية عظمى ، ويذكره بأن الإمبراطورية الحقيقية قائمة في الغرب ، وظل العداء قائما بين الإمبراطورين حتى وفاة مانويل عام ١١٨٠م ^(٤) .

(١) ولد فريدريك الأول ببروسا في وايلمنجن عام ١١٢٢م ، ورغم أنه توج إمبراطورا في روما في ٨ يونيو ١١٥٥م ، إلا أن علاقته بالبابوية ساءت بسبب أطماعه في إيطاليا . Larousse, T.9, p.3941 .

(٢) انظر : جوزيف نسيم يوسف ، المرجع السابق ، ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٣) هو قلعج أرسلان بن مسعود بن قلعج أرسلان بن سليمان بن قتلмыш بن سلجوق ، توفي في قونية في شعبان سنة ٥٨٨هـ ، وكان في بداية أمره ذا سياسة حسنة ، وهيبة عظيمة ، لكنه في أخريات أيامه قسم بلاده على أولاده ، فاستضعفه ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٨٧ .

(٤) انظر : جوزيف نسيم يوسف ، المرجع السابق ، ص ٢٣٧-٢٣٨ .

وفي عام ١١٨٤م اتفق بربروسا مع وليم الثاني Guillaume II ملك صقلية (١١٦٦-١١٨٩م) ^(١) على زواج ابنه وولي عهده هنري من الأميرة كونستانس ^(٢) الورثة الشرعية لمملكة صقلية ، وقد أثار هذا التصاهر الألماني النورماني حفيظة إسحق الثاني أنجيلوس Isaac Angelus II (١١٨٥-١١٩٥م) ^(٣) مؤسس أسرة أنجيلوس . فأقام بالمقابل تحالفا مع صلاح الدين الأيوبي ^(٤) ضد الإمبراطور الألماني ^(٥) .

(١) وليم الثاني ، ويدعى وليم الطيب ، ولد عام ١١٥٤م ، ابن وليم الأول . مات عام ١١٨٩م . Larousse, T.10, p.4395 .

(٢) هي كونستانس الأولى (١١٥٤-١١٩٨م) ، ملكة صقلية (١١٩٤-١١٩٨م) ، وريثة الملك وليم الثاني ، تزوجت عام ١١٨٦م من هنري السادس ، بعد موت وليم الثاني عام ١١٨٩م ، آلت إليها مملكة صقلية ، ولكنها تفردت بحكمها بعد وفاة زوجها عام ١١٩٧م . ثم تنازلت عنها لابنها فريديك الثاني . Larousse, T.5, p.2180 .

(٣) في عهد إسحق الثاني أنجيلوس ، ساد الفساد الإداري ، وفشت الرشوة ، وفرضت الضرائب لتغطية نفقات زواجه من شقيقة ملك هنغاريا ، وكان شقيقه الكسيوس الثالث (١١٩٥-١٢٠٣م) ضعيفا ، مما ساعد على استفحال الفوضى في البلاد . اسمت غنيم ، دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية . ص ٥٠-٥٢ .

(٤) يوسف بن أيوب بن شاذي ، أبو المظفر ، صلاح الدين الأيوبي ، الملقب بالملك الناصر ، كردي ولد في تكريت عام ٥٣٢هـ / ١١٣٧م ، دخل مع أبيه وعمه شيركوه في خدمة نور الدين زنكي ، صحب عمه في حملته على مصر سنة ٥٥٩هـ ، أصبح وزيرا على مصر بعد وفاة عمه ، وأعلن قيام الدولة الأيوبية بعد وفاة المعتضد العبيدي . توفي صلاح الدين في دمشق عام ٥٨٩هـ / ١١٩٣م . الزركلي ، الأعلام ، ج٨ ، ص ٢٢٠ .

(٥) علية الجنزوري ، هجمات الروم البحرية ، ص ١٦٦-١٦٧ .

وفي الشرق شعر الصليبيون- بعد هزيمتهم في حطين (ربيع الأول ٥٨٣هـ / يوليو ١١٨٧م) واسترجاع القدس على يد صلاح الدين- بالخطر يهدد وجودهم في فلسطين والشام ، فأرسل كونراد مونفيرات Conrad de Montferrat مركيز صور^(١) ، ملك مملكة بيت المقدس (١١٩٢م) ، مبعوثاً إلى أوروبا هو جوسيوس Joscius رئيس أساقفة صور (١٢٠١-١١٨٦م) ، الذي قابل وليم الثاني ملك صقلية وشرح له الوضع الصليبي ، فعقد الملك النورماني صلحاً مع الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس عام ١١٨٨م / ٥٨٤هـ ليتسنى له المشاركة في حملة صليبية جديدة تتجه إلى الشرق وأرسل إلى ملوك أوروبا وأمرائها يدعوهم إلى الإسهام فيها ، وبادر بإرسال أسطول إلى سواحل الشام . ثم واصل جوسيوس سبيله إلى روما ، حيث قابل البابا أوربان الثالث (١١٨٥-١١٨٧م)^(٢) ونقل إليه نبأ استعادة المسلمين للقدس فمات كمدا في أكتوبر ١١٨٧م ، وخلفه جريجوري الثامن Gregory VIII^(٣) ، لكنه لم يلبث أن مات في ديسمبر من السنة نفسها .

(١) كان كونراد مركيز مونفيرات (١١٨٨-١١٩٢م) ، وأصبح ملكاً لمملكة بيت المقدس في عكا ، لأقل من عام (١١٩٢م) ، وقف مع الإمبراطور البيزنطي إسحق أنج ضد خصومه . كان مشاركاً في الحملة الصليبية الثالثة . قتل على يد أحد إسماعيلية الشام عام ١١٩٢م . Larousse, T.5, p.2166 .

(٢) ولد البابا أوربان الثالث في ميلانو عام ١١٢٠م ، قاوم فريديريك بربروسا الذي احتل روما . مات في فيراري عام ١١٨٧م . Larousse, T.22, p.9333 .

(٣) تولى جريجوري الثامن - واسمه الأصلي البيروتودي مورا- البابوية يوم ٢١ أكتوبر ١١٨٧ ، ومات في بيزا يوم ١٧ ديسمبر من العام نفسه . Larousse, T.10, p.43207 .

وخلفه على البابوية كليمنت الثالث (Clement III ١١٨٧) - ١١٩١ م^(١) ، الذي تولى عقد لواء الحملة الثالثة . ثم مضى جوسوس إلى الإمبراطور فريدرىك الأول ببروسا إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، فاستجاب للدعوة ، وأصلح بين ملكي إنجلترا وفرنسا وتعاهدا على الاشتراك في الحملة^(٢) . ولم يكن ببروسا جاهلاً بأوضاع الشرق ، فقد سبق أن رافق عمه كونراد الثالث في الحملة الثانية ، وفي طريق عودتهما ، مكثا في القسطنطينية أياماً ، تسنى لببروسا الاطلاع على حياة الترف والثراء مما أوقد في قلبه نار الحقد والحسد ، لأنه كان يرى أن هزيمة الجيش الألماني في آسيا الصغرى إبان تلك الحملة يتحمل مسؤوليتها الإمبراطور البيزنطي^(٣) .

وقبل أن يتحرك ببروسا بحملته ، تلقى من بيلا الثالث Bela III ملك المجر (١١٧٢-١١٩٦ م)^(٤) وقلج أرسلان سلطان سلاجقة الروم ، إجابتين على طلبه اتخاذ التدابير لحماية جيشه ، وتأمين المؤن . وبدأت الشكوك تساور الإمبراطور البيزنطي حول نوايا ببروسا الذي سبق أن اقترح تحويل الحملة الثالثة إلى القضاء على الإمبراطورية البيزنطية ، الأمر الذي جعل أنجيلوس يعمد إلى إرسال سفارة إلى ألمانيا في خريف عام ١١٨٨ م ، للتوقيع على معاهدة تحدد خط سير

(١) البابا كليمنت الثالث اسمه الأصلي باولو سكولاري ، وقع صلحاً مع الدولة الرومانية المقدسة ، عام ١١٩١ م. Larousse, T.5, p.1966*1967.

(٢) حامد زيان غانم ، الإمبراطور فريدرىك ببروسا ، ص ٩-١١ .

(٣) انظر ، رنسيما ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٨ .

(٤) أصبح بيلا الثالث ملكاً على المجر (١١٩٦-١١٧٢ م) ، وهو من أسرة أرباد التي حكمت المجر . Larousse, T.3, p.962.

الحملة داخل الأراضي البيزنطية ، وتوفير المؤن للجنود والعلف للجياد .
واتخذ أنجيلوس احتياطات أمنية فوضع أشجارا على جانبي الطريق
ليمنع الجنود الألمان من التوغل يمينة أو يسرة ، وقبض على من تخلف
عن اللحاق بالحملة ، ولم يمد الحملة الألمانية بما اتفق عليه مع
بربروسا^(١) .

وبعد أن احتل بربروسا مدينة فليبوبولي Philippoli^(٢) في
٢٥ أغسطس ١١٨٩ م ، بعث برسله إلى أنجيلوس من أجل بحث نقل
جنوده إلى الشاطئ الآسيوي ، لكن الإمبراطور البيزنطي زج بهم في
السجن كرهائن ، وردا على هذا التصرف أطلق بربروسا ابنه فيليب
دوق سواب Philippe de Souabe^(٣) يستولي على ما صادفه من
المدن البيزنطية^(٤) .

ويذكر المؤرخ المجهول صاحب كتاب " الحرب الصليبية الثالثة " أن
بربروسا بعث إلى أنجيلوس أسقف منستر ومعه عدد من الأمراء
للتباحث حول السلام : " إلا أن طاغية اليونان الظالم الجبار زج بهم

(١) حامد زيان غانم ، المرجع السابق ، ص ٢٢-٢٣ ، ٣٠-٣١ .

(١) فليبوبولي ، مدينة في مقدونيا ، جنوب تراقيا على بحرايجة ، شهدت معارك
عدة عبر التاريخ . Larousse, T.19, p.8155 .

(٢) ولد فيليب دوق سواب عام ١١٧٧ م ، تولى دوقية سواب عام ١١٩٦ م ،
وتزوج إيرين البيزنطية ، قتل عام ١٢٠٨ م ، في بامبرج . Larousse, T.17, p.7199

(4) Grousset , Histoire des croisades P108. vi.t

في الحبس غير مكترث بما يتمتع به السفراء من حصانة " ولكنه أطلقهم: " بسبب الفزع الذي تسرب إلى نفسه مخافة أن يقوم رجالنا بتدمير المدينة الملوكية " يعني القسطنطينية يحدوهم إلى ذلك - كما يقول - : " أن حرمة البلد قد انتهكت حين سمح للمسلمين بتشديد مسجد لهم في بعض نواحيها " (١) .

وعندما رأى بربروسا إجراءات أنجيلوس ، استعان بالأرمن الذين ساعدوه في احتلال أدرنة (٢) في فبراير ١٩٩٠ م ومُندأ على الطريق إلى القسطنطينية ، وكان قد رتب مع أساطيل جنوا وبيزا (٣) والبندقية لمواكبة تحركاته ومشاركته إما في احتلال القسطنطينية أو العبور إلى الشاطئ الآسيوي ، بل إنه كلف ابنه هنري السادس Henry VI

(١) مجهول، الحرب الصليبية الثالثة ، ص ٦٩

(٢) أدرنة، مدينة في الجزء الأوروبي من تركيا، شمال غرب إستانبول، كانت تسمى أندرينوبل Andrinople. Larousse, T.7, p.3044.

(٣) تقع جنوا Genova على خليج جنوا ، خضعت لروما عام ٢١٨ ق.م، غزاها اللومبارديون عام ٦٤١ م ، ثم المسلمون عام ٩٣٦ م. قامت بدور تجاري بالاشتراك مع بيزا، وتنافست مع جاراتها البندقية وبيزا على الجزر المحيطة بشبه الجزيرة الإيطالية، وتنافست عليها قوى أوروبية منها فرنسا . Larousse, T.10, p.4107 .

أما بيزا Pisa ، فتقع في منتصف المسافة بين روما جنوباً وجنوا شمالاً. على خليج جنوا. استعمرها الرومان عام ١٨٠ ق.م ، واحتلها المسلمون (١٠٠٤ - ١٠٦٣ م). وقامت في العصور الوسطى بدور تجاري مهم بين أوروبا والمسلمين. Larousse, T.17, p.7301 .

(١١٩٠-١١٩٧ م)^(١) بإعداد جيش لجب لتأديب الإمبراطور البيزنطي بعد الحصول على إذن البابوية بذلك . وأمام هذه التطورات لم يجد الإمبراطور البيزنطي بُدّاً من مصانعة بربروسا ، وتعهد له بتقديم ما يلزم ، وعبر الجنود الألمان إلى البر الآسيوي في ٣٠ مارس ١١٩٠ م^(٢) .

ويصف المؤرخ المجهول أزمة الثقة بين العنصر اليوناني الممثل بالبيزنطيين ، واللاتيني المتمثل بالأوروبيين الغربيين بأنها نتاج رعب ولدته الكراهية في نفوس الشعوب البيزنطية ضد اللاتين ، الذين بدوا وكأنهم قطاع طريق : " مع أنهم [الغربيين] أصحاب أملاك كبيرة وعندهم الكثير مما يغنيهم عن مد أيديهم إلى اغتصاب ما ليس لهم ، أضف إلى ذلك أنهم في حملهم السلاح لم يحملوه لقتل المؤمنين ولكن لاستئصال شأفة الكفار " . ويرجع خوف البيزنطيين من اللاتين إلى : " أنهم ليسوا بقادرين على الحرب ولا يحسنون الضرب بالسيف ، فكان ذلك عاملاً على تأجيج حقدهم على اللاتين " ^(٣) .

ومهما يكن من أمر ، فقد توغل بربروسا في آسيا الصغرى معتمداً على جو الثقة بينه وبين السلطان السلجوقي ، وتمكن من دخول قونية

(١) ولد هنري السادس في نيميچ عام ١١٦٥ م ، وهو ابن فريدرىك بربروسا . توج ملكاً على إيطاليا عام ١١٨٦ م ، وتوج في روما إمبراطوراً للدولة الرومانية المقدسة عام ١١٩١ م ، باسم هنري ليون ، تزوج كونستانس ابنة وليم الثاني ملك صقلية عام ١١٨٦ م ، مما أهله لحمل لقب " ملك صقلية " عام ١١٩٤ م . ومات في مسين عام ١١٩٧ م . . Larousse, T.11, p.4526 .

(٢) حامد زيان غانم ، المرجع السابق ، ص ٣١-٣٤ .

(٣) مجهول ، المرجع السابق ، ص ٦٧-٦٨ .

في ١٨ مايو ١١٩٠ م، ولما بلغ حدود أرمينية ، استقبله ملكها ليون الثاني Leon II (١١٨٧-١٢١٩ م) ^(١) بالترحاب وأمدّه بالمؤن والعتاد، لأنه كان يرى في بربروسا سنداً له في تحقيق حلمه ليتوج ملكاً على أرمينية الصغرى حتى لا يبدو أقل مكانة من الأمراء الصليبيين في الشام، وحتى يتخلص من تبعية الإمبراطور البيزنطي وأطماعه ، وكان ليون قد كاتب بربروسا بهذا الشأن قبل مجيئه إلى الشرق فمنحه لقب " ملك " ^(٢) .

وقد تعرض جزء كبير من الجيش الألماني إلى القتل والخطف من فرق المقاومة الإسلامية السلجوقية، ولم يلبث بربروسا أن غرق بنهر في أرمينية الصغرى في ١٠ يونيو ١١٩٠ م، فتولى قيادة الجيش الألماني ابنه فريدريك دوق سواب الذي نقل جثة أبيه ، فدفن لحمه في كنيسة أنطاكية ، وأرسل عظامه لتدفن في بيت المقدس ، ثم لم يلبث أن عاد بفلول جيشه إلى ألمانيا ^(٣) .

أما القائد الثاني فهو ريتشارد الأول قلب الأسد Richard Hear of the Lion ملك إنجلترا (١١٨٩-١١٩٩ م) ^(٤) الذي

(١) هوليون الثاني الأكبر ، أمير أرمينية (١١٨٧-١١٩٨ م) ، أول ملك أرمني (١١٩٨-١٢١٩ م) ، حالف الصليبيين ضد السلاجقة . Larousse, T.13, p.5411 .

(٢) حامد زيان غانم، المرجع السابق ، ص ٥٠-٥١ .

(٣) مجهول، المرجع السابق، ص ٨٣

(٤) ولد ريتشارد الأول قلب الأسد في أكسفورد عام ١١٥٧ م ، الابن الثالث للملك هنري الثاني، دوق أكييتين تنازع الحكم مع إخوانه عام ١١٧٣ م ، =

استهل حملته الصليبية على الشرق باحتلال قبرص Cyprus^(١) في ١٢ مايو عام ١١٩١ م ، وهو وإن لم يبرأ بالقسطنطينية إلا أن هذا الاحتلال كان إعلان حرب على الإمبراطورية البيزنطية التي كانت قبرص ضمن ممتلكاتها في البحر الأبيض المتوسط . وقد علق رنسيما ن على هذا الاحتلال بقوله : " فإذا استطاع الصليبيون أن يضيفوا إلى أملاكهم إقليمًا أرثوذكسيا ، مثل قبرص ، أليس ذلك مغريا للمبادرة إلى شن حرب مقدسة طويلة الأمد على بيزنطة ؟ " ^(٢) .

وقد بالغ رنسيما ن في تساؤله ، لأن احتلال الجزيرة البيزنطية لم يكن ذا أهمية لدى إسحق أنجيلوس ، لأنها كانت منذ خمس سنين قبل احتلال الإنجليز لها تحت حكم خصمه إسحق دو كاس كومنينوس Isaac Doukas Comnenus^(٣) الذي ثار عليه ، ولقب نفسه بالإمبراطور ^(٤) .

= تحالف مع فيليب أوغست ضد أبيه الذي مات عام ١١٨٨ م . أثناء عودته من حملته على الشرق أسر في النمسا ، ثم أطلق بقاء ضخم ، لكنه اغتيل في ليموزين في فرنسا عام ١١٩٩ م . Larousse, T.19, p.8080 .

(١) قبرص ، جزيرة بمحاذاة الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، خضعت للإغريق ، ثم للأشوريين ، ثم للفراعنة ، ثم للفرس فالرومان ، والبيزنطيين ، فتحها المسلمون عام ٦٤٩ م ، واستقروا فيها (٨٦٢ - ٩٦٥ م) ، ثم عادت إلى بيزنطية إلى أن احتلها ريتشارد قلب الأسد عام ١١٩١ م . وفي عام ١١٩٧ م قامت فيها مملكة لاتينية تحكمها أسرة لوزينيان . Larousse, T.5, p.1893-1894 .

(٢) انظر : رنسيما ن ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٩٢-٩٥ .

(٣) حكم إسحق دو كاس كومنينوس ، قبرص خمس سنين (١١٨٦-١١٩١ م) ، وتقلب في مواقفه فتارة مع الصقليين ، وتارة مع الأرمن ، وثالثة مع صلاح الدين . أسره ريتشارد في يونيو ١١٩١ م ، واصطحبه إلى فلسطين . رنسيما ن ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨٩-٩٠ .

(٤) انظر : رنسيما ن ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨٩-٩٠ .

ويبدو أن ريتشارد كان مرغماً على احتلال الجزيرة لأن حاكمها أساء التعامل مع سفنه ، وكاد أن يأسر بعض أفراد أسرته ، يضاف إلى ذلك أن أهل الجزيرة من اليونانيين كانوا يكرهون حاكمهم فمهدوا السبيل أمام ريتشارد لاحتلال قبرص ، وأسر إسحق ، واقتياده إلى فلسطين ، ولكن الأهالي ندموا لأن فرسان الهيكل "الداوية" ^(١) تولوا أمر الجزيرة وفرضوا عليهم تطبيق الطقوس الكاثوليكية ^(٢) .

أما فيليب الثاني أوغست Philippe Auguste ملك فرنسا (١١٨٠-١٢٢٣ م) ^(٣) فقد أبحر من مرسيليا لمشاركة الملك الإنجليزي في هذه الحملة ، ولم يكن ذا دور فاعل فيها ، ولم يصطدم بالامبراطورية البيزنطية ، بل إنه عاد إلى بلاده ، فور احتلال عكا ، تاركا ريتشارد يكابد مواجهة المسلمين .

(١) فرسان الهيكل أو الهيكلين أو "الداوية" كما يسميهم المسلمون ، منظمة أسسها فرنسي يدعى هوج دو باين Hugues de Payns الذي يقال إنه قدم إلى الشرق مع الحملة الأولى ، ثم عاد إلى الغرب ، حيث التقى صديقه برنارد دو كليرفو الذي شجعه على إنشاء هذه المنظمة ، وفي عام ١١١٩ م منحه بلدوين الثاني ملك بيت المقدس مكانا في المسجد الأقصى ، وكان هدف المنظمة في البداية حماية الحجاج وإيوائهم ، ثم تحولت إلى منظمة إرهابية . للمزيد انظر: Demurger, Vie et mort de l'ordre du Temple .

(٢) جلال يحيى ، محمد نصر مهنا ، مشكلة قبرص ، ص ٤٧-٤٨ .

(٣) ولد فيليب الثاني أوغست في باريس عام ١١٦٥ م ، وهو ابن لويس السابع ، تزوج عام ١١٩٣ م من الأميرة الدانيماركية ازامبور أخت الملك كود الخامس . وتخلى عنها ليتزوج آنيس دو ميرا ، الأمر الذي جعل البابا انوسنت الثالث يصدر ضده قرارا بالحرمان في يناير ١٢٠٠ م . وتوفي في مانت عام ١٢٢٣ م . Larousse, T.17, p.7199-7200 .

الفصل الخامس : موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة

الحملة الرابعة (١٢٠٢ - ١٢٠٤م) :

للحديث عن موقف الإمبراطورية البيزنطية من قادة هذه الحملة ، لابد من معرفة طبيعة العلاقة بين البندقية وبيزنطة ، فقد كانت البندقية في القرن العاشر الميلادي تابعة-اسمياً- للبيزنطيين ، ووقفت معهم ضد النورمان ، واستطاعت عام ١٠٨١م إجلاء النورمان عن ثغر دورازو البيزنطي وترتب على هذه المساعدة منحها امتيازات تجارية في القسطنطينية ، ونشوء جالية لها في أحد أحياء العاصمة تتمتع باستقلال قضائي وديني . ولما احتل الصليبيون الشام وفلسطين أسرع البنادقة إلى مساعدتهم في احتلال المدن الساحلية مقابل منحهم امتيازات تجارية ، وإزاء هذا التوسع قام الإمبراطور حنا الثاني كومنينوس بتقليص مصالح البنادقة في القسطنطينية ، وألغى امتيازاتهم ، فأغار البنادقة على بعض الجزر البيزنطية المهمة ، ولكن العداء المشترك للنورمان أعاد العلاقة التجارية مع بيزنطة إلى سالف عهدا . غير أن الأجواء تعكرت بسبب سياسة مانويل الأول كومنينوس التي كانت ترمي إلى إحياء الإمبراطورية الموحدة ، وفي عهد الإمبراطور أندرونيكوس الأول كومنينوس Andronicus I Comnenus (١١٨٣-١١٨٥م) ^(١) وقّعت في

(١) الإمبراطور أندرونيكوس الأول كومنينوس ، هو ابن عم الإمبراطور مانويل كومنينوس (١١٤٢-١١٨٠م) ، ثار ضده ، ثم رضي عنه ، وأرسله إلى قبرص ، وفي عام ١١٦٧م ذهب إلى فلسطين ، كان مغامرا ، استفاد من الفوضى التي أعقبت وفاة مانويل ، وفي سبتمبر ١١٨٣م توج إمبراطورا إلى أن أطاح به إسحق أنجيلوس في سبتمبر ١١٨٥م وقتله . اسمت غنيم ، دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية ، ص ٥٦-٦٠ .

القسطنطينية مذبحه اللاتين ، ومصادرة أموالهم ، فاستنجدوا بالملك
وليم الثاني ملك صقلية ، فتدخل لصالح الإمبراطور إسحق الثاني
أنجيلوس ضد خصمه كومنينوس ، وأعاد أنجيلوس- بطلب من وليم
الثاني - إلى اللاتين أموالهم وامتيازاتهم وعرضهم عن الأضرار التي
لحقت بهم ^(١) .

ومن عجب أن النورمان كانوا وبالأعلى الإمبراطورية البيزنطية
سواءً أكانوا محاربين لها أم مسالمين ، ففي عام ١١٨٩ م ، مات
الملك وليم الثاني فكان ذلك إيذاناً بزوال دولة النورمان في جنوب
إيطاليا ، ودب النزاع بينهم ، فزحف عليهم الإمبراطور الألماني هنري
السادس ووصل إلى جنوب إيطاليا عام ١١٩١ م ، ولكنه اضطر
لانسحاب بعد أن أسر النورمان زوجته ، ثم أطلقوا سراحها بواسطة
البابا . والذي يعني أن هذه العملية العسكرية ، دفعت الملك النورماني
تانكريد دو ليسبي Tancrede de Lecce (١١٩٠-١١٩٤ م) ^(٢) إلى
التحالف مع الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس ضد هنري
السادس وتوج ذلك بزواج إيرين ابنة إسحق من روجر ابن الملك
تانكريد . وعندما مات تانكريد عام ١١٩٤ م ، تمكن هنري السادس من
الاستيلاء على المملكة النورمانية وأصبح لقبه " إمبراطور ألمانيا وملك

(١) انظر : جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٥١-٢٥٧ .

(٢) الملك النورماني تانكريد دو ليسبي ، الابن الطبيعي للملك روجر ، كونت بوي ، توج
ملكاً مكافأة له على وقوفه ضد هنري السادس ، بفضل زواجه من كونستانس . أسر عام
١١٩٢ م ، مات عام ١١٩٤ م . Larousse, T.21, p.8920 .

إيطاليا وصقلية " . وإذا كان القضاء على النورمان يسر البيزنطيين ، فإن تضخم الإمبراطورية الألمانية ، وامتدادها الواسع ، يشكل خطراً على بيزنطة ذاتها ، وعلى الصعيد الشخصي فإن هنري السادس انتقم من أنجيلوس لوقوفه مع تانكريد ، فقبض على إيرين ابنة أنجيلوس وزوجة روجر ، ثم طالب هنري السادس بيزنطة عام ١١٩٥ م ، بتسليمه الأقاليم الممتدة من دروازو إلى سالونيك التي كان النورمان قد استولوا عليها ، وتعويضه عن الخسارة التي حاقّت بجيش والده ببروسا أثناء الحملة الثالثة ، وتمويل الحملة التي كان هنري السادس يزمع القيام بها إلى فلسطين ، ولما أطيح بأنجيلوس ، واعتلى عرش بيزنطة أخوه الكسيوس الثالث أنجيلوس Angelus Alexius III (١١٩٥-١٢٠٣ م) جدد هنري السادس مطالبه ، ولكنه هذه المرة اقتصر على الحصول على مبلغ خمسة آلاف جنيه ذهبي ، خفض إلى ألف وستمائة ، وقد دفع الكسيوس الثالث - بعد جهد- بعض هذا المبلغ ، وتنفس الصعداء عندما مات هنري السادس في ٢٨ سبتمبر ١١٩٧ م ^(١) .

وإذا كانت بيزنطة قد نجت من دفع بقية المبلغ المطلوب للدولة الرومانية المقدسة ، فإنها لم تنج من الحقد والعداء الذي يكنه الألمان لها ، وهذا ما عبر عنه قولاً وفعلاً الإمبراطور الألماني فيليب دوق سواب ، الذي سار على نهج أخيه هنري السادس ، واستطاع تسخير الحملة الرابعة ضد القسطنطينية كما سنرى .

(١) عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٢٩٠-٢٩٢ ؛ Aubee, Op. Cit., P.286-294 .

في منتصف عام ١١٩٨ م ، دعا البابا أنوسنت الثالث Innocent III (١١٩٨-١٢١٦ م)^(١) إلى حملة صليبية جديدة ، وأجرى اتصالات واسعة مع الأباطرة والملوك الغربيين ، ومنهم الإمبراطور البيزنطي الكسيوس الثالث أنجيلوس ، الذي أرسل إليه البابا وفداً ، ناشده الوقوف معه ضد المسلمين من أجل : " يسوع المسيح ، ووطنه الذي فاز بدمه " ، وبحث معه آلية اشتراك البيزنطيين في هذه الحملة ، ومسألة توحيد الكنيستين . وقد أجاب الإمبراطور البابا بأن له تجربة سيئة مع فريديريك بربروسا أثناء عبوره أراضيها في الحملة الثالثة ، فرغم أيمانه الغلاظ عشا في الأراضي البيزنطية فساداً ، ومثله قادة الحملتين الأولى والثانية ، ووعد البابا بأن يبذل جهده لاسترجاع الأرض المقدسة . ولم تسفر مباحثات توحيد الكنيستين عن شيء^(٢) .

وفي فبراير عام ١٢٠١ م استقبل دوق البندقية هنري داندولو Enrico Dandolo (١١٩٢-١٢٠٥ م)^(٣) سفارة من قـادة

(١) ولد البابا أنوسنت الثالث واسمه الأصلي جيوفاني لوتاريو ، في أناجني عام ١١٦ م توفي في روما عام ١٢١٦ م ، عين بابا باسم أنوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦ م) ، دخل في صراع مع أباطرة الدولة الرومانية المقدسة وبخاصة فريديريك الثاني ، قاوم الألبيجنسين (١٢٠٨-١٢٠٤ م) ، أدخل تعديلات على الكنيسة . Larousse, T.11, p.4842 .

(٢) اسمت غنيم ، دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية ، ص ٧٠-٧٢ .

(٣) كان هنري داندولو دوق البندقية ، رجلاً مسناً ، يكره بيزنطة ، تولى الدوقية عام ١١٩٣ م ، وفاوض بيزنطة حول تجديد الامتيازات التجارية فلم يفلح ، فحول الحملة الرابعة لتحقيق أهدافه التجارية . مات في مايو ١٢٠٥ م . رنسيمان ، المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٠٨ .

الحملة الرابعة للتباحث بشأن تأجير سفن تقل حشودهم إلى فلسطين فقبل الدوق بذلك مقابل مبلغ كبير وأبدى استعداداه للمشاركة الفعلية في هذه الحملة . ورفض الاقتراح الصليبي بأن تكون وجهة الحملة مصر لما تربطه معها من مصالح تجارية واتفقوا على غزو فلسطين لاحتلال القدس . ولما لم يستطع الصليبيون دفع تكاليف الحملة عرض عليهم داندولو انتزاع زارا Zara^(١) من المجرين فتم له ذلك في نوفمبر ١٢٠٢ م ، وأخذ الدوق يزين للصليبيين احتلال القسطنطينية العدو الذي يهدد مصالحها ، ومصالح الغرب الأوروبي . وصادف أن خلع الكسيوس الثالث أخاه إسحق وسجنه وابنه الكسيوس الرابع ، ولكن تمكن الأخير من الهرب إلى الملك الألماني فيليب سواب زوج أخته إيرين ، وبحث معه أمر تسخير الحملة لاسترداد عرش بيزنطة مقابل أموال كبيرة ، وحضر الاجتماع الماركيز بونيفاس دو مونفير Boniface de Montferrat^(٢) ، الذي كان في زيارة لألمانيا أوائل عام ١٢٠٢ م وفي ديسمبر ١٢٠٢ م ، أرسل الملك فيليب إلى الصليبيين يسألهم مساندة شقيق زوجته بغية استرجاعه عرش الإمبراطورية البيزنطية ، وذكر لهم أن الكسيوس سيمنحهم المساعدة

(١) زارا Zara ، مدينة كروانية على ساحل الأدرياتي Larousse, T.22, p.9720 .

(٢) كان بونيفاس دو مونفير يطمح الى أن يصبح إمبراطورا للقسطنطينية ، منافسا صلبا لبلدوين دو فلاندر ، فبادر الى الاستيلاء على القصر الإمبراطوري ، وتزوج ماريا أرملة الإمبراطور السابق إسحق أنجيلوس ، ولكن بعد اختيار بلدوين إمبراطورا ، أعطي بونيفاس ملكة سالونيك . اسمت غنيم ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٦٤ - ١٦٧ .

الأكثر فعالية من أجل استرداد الأرض المقدسة ، وأنه سيخضع الإمبراطورية لسلطان البابوية وسيمنحهم مائتي ألف مارك من الفضة ، وسيقدم المؤن لكل من في الجيش صغيراً كان أم كبيراً وسيشارك في غزو مصر ، أو يرسل عشرة آلاف مقاتل يرابطون هناك على نفقته ، وخمسائة فارس لحراسة الأرض المقدسة . وقد وافق قائد الحملة بونيفاس دو مونفيرال والكونت بلدوين دو فلاندر Baudouin I de Flandre ^(١) على تغيير هدف الحملة ، ورسا الأسطول البندقي أمام أسوار القسطنطينية في يونيو ١٢٠٣ م ففر الكسيوس الثالث وأعيد إسحق إمبراطوراً في أغسطس ١٢٠٣ م ، ولكن الأهالي قاموا بثورة في يناير ١٢٠٤ م طالبوا برحيل الصليبيين ، فقرر الصليبيون احتلال القسطنطينية فدخلوا المدينة ونهبوا البيوت ، ولم تسلم منهم كنيسة سانت صوفيا . وتجدر الإشارة إلى أن الصليبيين أحرقوا المسجد الذي بني في القسطنطينية منذ عصر بني أمية في عهد ليو الثالث الأيزوري Leo III (٧١٧-٧٤١ م) ^(٢) ، والذي سمح الإمبراطور إسحق أنجيلوس بإقامة الخطبة فيه سنة ١١٨٩ م بفضل علاقاته الطيبة مع صلاح الدين . وقد بادر الصليبيون إلى اختييار البندقي

(١) ولد بلدوين الأول دو فلاندر عام ١١٧١ م في فالنسيان ، كان كونت هينو ، وكونت فلاندر ، وإمبراطور الدولة اللاتينية في القسطنطينية ، أسر من قبل حنا الثاني كالوجان ملك البلغار الذي هب لمساعدة البيزنطيين ، مات بلدوين عام ١٢٠٥ م . Larousse, T.3, p.928 .

(٢) ولد ليو الثالث الأيزوري ، استعاد أراضي واسعة من المسلمين ، والبلغار ، نظم الإدارة ، وأصدر القوانين ، ولكنه فشل في سياسته الدينية ضد الأيقونات . توفي عام ٧٤١ م . Larousse, T.13, p.5411 .

توماس مورموسيني Thomas Mauroceni^(١) بطريركا ليكون أول رئيس كاثوليكي لكنيسة القسطنطينية ، وتوجوا بلدوين كونت فلاندر- في كنيسة سانت صوفيا في مايو ١٢٠٤م - ليصبح أول إمبراطور لاتيني لدولة لاتينية في القسطنطينية استمرت حتى عام ١٢٦١م^(٢) .

ولنا أن نتساءل عن موقف البابوية من تغيير وجهة الحملة الرابعة من مصر إلى زاراثم إلى القسطنطينية ، لنعرف عمق الخلافات الدينية والسياسية بين شرق أوروبا وغربها . فما إن علم البابا أنوسنت الثالث بأن الحشود الصليبية احتلت زار النصرانية حتى أصدر قرار الحرمان ضد الضالعين فيها ، ولكن بارونات الحملة وقسستها حصلوا على عفو من البابا . وحينما علم البابا باتجاه الحملة إلى القسطنطينية أبلغ قادة الحملة بأن ليس لهم الحق في التدخل في الأمور الداخلية للبيزنطيين وعليهم أن يقسموا على التقيد بأوامره وإلا فإن العفو السابق يصبح ملغيا ، فأخفى القائد بونيفاس أوامر البابا ومضى إلى هدفه . وأمام هذه التطورات قام البابا بإعفاء نائبه في الحملة لفشله في اتخاذ التدابير

(١) ينتمي البطريرك توماس مورموسيني إلى أسرة من النبلاء تعود جذورها إلى مانتوا ، ولم يكن مع الحملة الرابعة ، ولا موجودا في القسطنطينية أثناء انتخابه ، كان في منتصف العمر ، لم يعلم البابا أنوسنت بانتخابه إلا في ٢ يناير ١٢٠٥م ، وبعد تردد وافق على اختياره بطريكا كاثوليكيًا على كنيسة أرثوذكسية . توفي مورموسيني عام ١٢١١م . اسمت غنيم ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٦٥ - ١٦٧ .

(٢) اسمت غنيم ، دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية ، ص ٩٥-٩٣ ؛ اسمت غنيم ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص ١٥٩ .

اللازمة . ولكن البابا تعامل مع زعماء الحملة بسياسة الأمر الواقع ، حيث طالبهم في مستهل أبريل عام ١٢٠٣ م ، ألا يهاجموا البيزنطيين إلا إذا رفضوا تقديم المؤن والزاد للحشود الصليبية وأخبرهم بأن العفو السابق مازال ساريا وهو الخبر الذي سمح بونيفاس بإذاعته ^(١) .

وعندما بلغ البابا الأعمال الوحشية التي نفذها صليبيو الحملة الرابعة بالبيزنطيين ، أرسل إلى قائدهم الماركيز بونيفاس يقول له : " استوليتم على القسطنطينية بدلا من أورشليم ، وفضلتم كنوز الدنيا ، على كنوز الآخرة . . . لقد نهبتم المناضد الفضية للمذابح ، وحطمتم غرف المقدسات وسرقتم الصلبان والأيقونات والآثار المقدسة . . . ولأن الكنيسة اليونانية أخضعت بالقوة ، فإنها رفضت سيادة الكرسي البابوي ، لأنها لا ترى في اللاتين إلا الخيانة والشرف فقط ، لذلك فهي تعافهم كما تعاف الكلاب " . ويبدو أن البابوية أرادت أن تبرئ ساحتها من هذا الجرم ^(٢) .

ويحسن بنا هنا إيراد شهادتي مؤرخين فرنسيين مرافقين للحملة هما جوفريو دو فلهاردوان Jeoffriou de Villehardouin (١١٦٠-١٢١٢م) ^(٣) ، وروبير كلاري Robert Clari ، حول

(١) اسمت غنيم ، دراسات في تاريخ امبراطورية نيقية البيزنطية ، ص ٨٧-٨٨ ، ٩٤-٩٥ ،

(٢) اسمت غنيم ، دراسات في تاريخ امبراطورية نيقية البيزنطية ، ص ١٢-١٣ ، ١٣١ ، ١٢٧ .

(٣) ولد فيلهاردوان عام ١١٥٠ م ، كان ماريشال شامباني ، قام بدور في المفاوضات التي جرت بين قادة الحملة الرابعة والبيزنطيين . بعد سقوط القسطنطينية =

المتسببين في تغيير وجهة الحملة إلى احتلال القسطنطينية ، ويمكن أن نوضح ذلك من خلال تقسيم مراحل الحملة إلى مراحل أربع :

المرحلة الأولى : وتبدأ من سواسون^(١) الفرنسية إلى البندقية . فيذكر كلاري أن قساً اسمه فولك دو نوي Foulque de Neuille^(٢) من أسقفية نوي قرب باريس دعا إلى حملة صليبية لتحرير الأرض المقدسة . وقد استجاب له البابا وعدد كبير من البارونات الفرنسيين ، وفي يونيو ١٢٠١ م ، عقد اجتماع في سواسون وانتخب الماركيز بونيفاس دو مونفيراقائدا عاما للحملة^(٣) . أما فيلهاردوان فيذكر أنه كان ضمن الستة الذين بعثهم البارونات إلى هنري داندولو دوق البندقية للتفاوض حول نقل الحملة بحرا إلى مصر ، لكنه أكد أنه تم توقيع اتفاق مع الدوق دون التصريح بالجهة المتفق عليها وهي مصر ، واكتفي بالإشارة إليها بعبارة " ما وراء البحر " ، مما يشير الشك في نوايا الدوق المبيتة^(٤) .

= عام ١٢٠٤ م ، أصبح مستشارا لبونيفاس دو مونفيراملك تسالونيك . ومات عام ١٢١٣ م . Larousse, T.22, p.9533 .

(١) سواسون Soissons ، مدينة تقع على بعد ٩٧ كم شمال شرق باريس ، قامت بدور تاريخي منذ القرن الخامس الميلادي ، وفيها كثير من المعالم الأثرية الدينية والحربية . Larousse, T.20, p.8649 .

(٢) فولك دو نوي Foulque de Neuille من أسقفية نوي قرب باريس ، منصر فرنسي ، مات عام ١٢٠٢ م ، اختير من قبل البابا أنوسنت الثالث للدعوة إلى الحملة الرابعة عام ١١٩٨ م . Larousse, T.9, p.3817 .

(٣) كلاري ، فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ، ص ٣٣-٣٩ .

(٤) فيلهاردوان ، : من مذكرات فيلهاردون فتح القسطنطينية ، ص ٤٩-٥٤ .

المرحلة الثانية : يذكر كلاري أن الدوق طلب من زعماء الحملة دفع سبعة وثمانين ألف مارك أجرة نقلهم على الأسطول البندقي إلى مصر ، ودون أن ينتقد الدوق بل أثنى عليه قال كلاري: إن البارونات أرسلوا إلى الدوق خمسة وعشرين ألف مارك مقدما . وعندما وصلوا إلى البندقية أعطوا الدوق مبلغا من المال ، وبقي له في ذمتهم ستة وثلاثون ألف مارك ^(١) ، على حين ذكر فيلهاردوان أن المتبقي أربعة وثلاثون ألف مارك ^(٢) . وأجمع المؤرخان على أن الدوق هو الذي اقترح على الصليبيين المشاركة في احتلال زارا لتدبير المبلغ المتبقي .

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة احتلال زارا ، وهنا يؤكد كلاري أن المركيز بونيفاس دو مونفيراف وصل إلى زارا بعد سقوطها مما يعضد الرأي بعدم مسؤوليته عن هذه المرحلة ، ولكن كلاري يؤكد على أن المركيز كان في بلاط الملك الألماني فيليب ، والتقى أخوزوجته ، الكسيوس بن إسحق الذي انتزع منه عمه العرش وطلب نصرته مقابل التزامه بدفع مائتي ألف مارك وتموين الأسطول عاما ومرافقتهم إلى الشرق بجيش يربط منه هناك عشرة آلاف على نفقته ، ويتكفل بسفر الحملة من القسطنطينية إلى الشرق ^(٣) .

(١) كلاري ، المصدر السابق ، ص ٤١-٤٢ ، ١٤٤ .

(٢) فيلهاردوان ، المصدر السابق ، ص ٦٧

(٣) كلاري ، المصدر السابق ، ص ٥٠-٥٤ ، ٦٧ .

أما فيلهاردوان فيذكر أن الكسيوس ابن الإمبراطور إسحق قدم إلى زارا مرسلا من فيليب دوق سواب ملك ألمانيا يقترح على الصليبيين التوجه إلى القسطنطينية لاستعادة عرش أبيه مقابل منحهم مائتي ألف قطعة فضية ، و مؤونة عام ، ومدهم بعشرة آلاف محارب يرافقونهم إلى مصر حيث يترك فيها خمسمائة فارس^(١) . وهذه الرواية تبعث على الشك في أن بونيفاس كان وراء هذه الخطة لكونه قد تغيب في ألمانيا رغم ضرورة وجوده على رأس الحملة من البندقية إلى زارا ، ولكونه جاء قبل الكسيوس لابعاد الشبهة عن اتفاق مسبق .

المرحلة الرابعة: وهي إعادة الكسيوس الرابع وأبيه إلى العرش بعد فرار المعتصب الكسيوس الثالث يوم الخميس ١٧ يوليو ١٢٠٣ م ، وقد ذكر كلاري أن الصليبيين طلبوا من الإمبراطور إسحق الثاني أنجيلوس إعلان التبعية للبابوية ، وتنفيذ ما اتفق عليه مع ابنه في زارا . غير أن إسحق تلكأ في ذلك ، وقام البيزنطيون بإحراق سفن الصليبيين . ثم حدث أن قاد الكسيوس الخامس دوكاس مرزفولوس Murzuphlus Alexius V Doukas^(٢) انقلابا أودى بحياة إسحق وابنه ، وقاوم الوجود الصليبي ، ف عقد زعماء الحملة العزم على احتلال القسطنطينية وكان ذلك يوم الثلاثاء ١٣ أبريل ١٢٠٤ م . وتم اختيار

(١) فيلهاردوان ، المصدر السابق ، ص، ٧٧-٧٨ ، ٨٣ .

(٢) يقال إن الكسيوس الخامس دوكاس مرزفولوس كان ذا شعبية في القسطنطينية ، فأعلن نفسه إمبراطورا في سانت صوفيا ، ودس السم لألكسيوس ابن إسحق ، ولكنه لم يهنأ بالحكم ، فقد فر بعد أن اقتحم الصليبيون القسطنطينية . اسمت غنيم ، دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية ، ص ١١٠-١١١ .

بلدوين دو فلاندر أول إمبراطور لاتيني (١٢٠٤-١٢٠٦ م)^(١) . ويبرر فيلهاردوان هذا الاحتلال اللاتيني للقسطنطينية ، بأنه نتيجة متوقعة ، فقد قدم زعماء الحملة خدمات جليلة للإمبراطورين إسحق وابنه ، وخرجوا مع الكسيوس ثلاثة أشهر لإخضاع بقية أرجاء الإمبراطورية ، وقوبل ذلك بماطلة من إسحق ، بل إن ابنه دبر حريقاً ضد الأسطول البندقي ، وطالب الحملة بالرحيل ، مما جعل صبر زعماء اللاتين ينفد وبخاصة بعد وقوع انقلاب مرزفلوس^(٢) .

والواقع أن كلا المؤرخين لم يتهما أحداً من اللاتين بمسؤوليته عن تغيير وجهة الحملة لا البابا ولا دوق البندقية ولا بونيفاس دو مونفير ، بل ألقيا اللوم على الصراع داخل البيت البيزنطي ، وعدم وفاء الكسيوس الرابع وأبيه بالتزامتهما نحو الحملة . ولكن إشارة الصليبيين إلى وجوب خضوع الإمبراطور إسحق للبابوية يوحى بالرغبة البابوية في الوصول إلى هذه النتيجة سيما وأن البابا أصدر عفواً عاماً عن الضالعين في احتلال زارا المسيحية .

وهذا ما جعل مؤرخين غربيين مثل الفرنسي روسيه يقتنع بأن الحملة الرابعة هي نتيجة خلاف ديني بين شرق أوروبا وغربها بدأ منذ الانشقاق بين الكنيستين عام ١٠٥٤ م^(٣) . ومثل الإنجليزي رنسيومان الذي علق على نتائج هذه الحملة بقوله " : انغرسست بذور الكراهية بين العالمين المسيحي في الشرق والغرب . فما كان لدى البابا أنوست من

(١) فيلهاردوان، المصدر السابق ، ص ١٠٢-١٢٨ ؛ كلاري، ص ٩٤-٩٦ ، ١٠٢، ١١٩، ١٣٦ .

(٢) فيلهاردوان، المصدر السابق ، ص ١١١-١١٢ .

(٣) Rousset Histoire d'une ideologie la croisades, P 81 .

آمال رائعة ، وما ادعاه الصليبيون من مفاخرات خادعة ، بأنهم أنهوا الانشقاق ، ووحّدوا الكنيستين ، كل ذلك لم يتحقق ؛ بل حدث بدلا من ذلك أن همجيتهم ووحشيتهم خلفت من الذكرى ما لا يغتفر لهم ^(١) .

ومن المؤرخين المحدثين من اتهم البنادقة لأن لهم مصالح تجارية مع مصر ، فأرادوا تغيير وجهة الحملة إلى القسطنطينية التي أصبحت مصالحهم فيها مهددة . على حين اتهم البعض الملك الألماني فيليب سواب بأنه الرجل الذي اضطلع بهذا الحدث لأن له تجربة مع البيزنطيين في الحملة الثالثة ، فأصبح على قناعة بأن نجاح أي حملة صليبية قادمة مشروط باحتلال القسطنطينية ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن احتلال الإمبراطورية البيزنطية سيمنحه من تحقيق حلمه بإنشاء إمبراطورية رومانية عظمى وسيحسم خلافاته مع البابوية لصالحه ^(٢) . ويرى البعض أن بونيفاس دومونفير هو اليد الخفية التي حركت الجحافل الصليبية ، فهو على علاقة بفيليب دوق سواب ، وعلاقة بالبيت البيزنطي ، ويملك أسلوبا للجمع والتفريق ^(٣) .

وأيا كان المدبر لهذه الحملة ، فيبقى المسؤول الأول والأخير صراع الأباطرة البيزنطيين فيما بينهم على العرش ، وعدم انتهاز إستراتيجية واضحة في التعامل مع القوى الغربية ، كتلك التي اتبعها أسلافهم مع قادة الحملات الثلاث ، يظل الاختلاف المذهبي عنصر عدا بين شرق أوروبا وغربها .

(١) رنسيان ، المرجع السابق ، ج٣ ، ص٢٣٣ ، ٢٣٥ .

(٢) عادل زيتون ، العلاقات الكنسية والسياسية ، ص٣٠١ - ٣٠٣ .

(٣) للمزيد من المعلومات عن دور بونيفاس في الحملة الرابعة انظر Michaud, T, II, P 102, 119, 160-161, 179, 197 . . Cit. Op

الخاتمة :

- من استقرائنا للنصوص التاريخية المتعلقة بموضوع البحث ، ومن خلال تحليل مجريات الحملات الأربع ، نستنتج الآتي :
- ثمة أزمة ثقة بين القسطنطينية وغرب أوروبا ، منشؤها- أول الأمر- من اختلاف عرقي ولغوي ، تطور إلى تنافس حضاري سيما بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية سنة ٤٧٦ م.
 - تحول هذا التنافس الحضاري إلى عدااء مذهبي بعد الانشقاق الكنسي عام ١٠٥٤ م ، الأمر الذي جعل البابوية تدخل طرفا في الصراع بين القوى الغربية وبيزنطة في شبه الجزيرة الإيطالية والبلقان .
 - رغم أن المشروع الصليبي لا احتلال فلسطين ، صرف الأنظار الغربية عن كراهية البيزنطيين ، إلا أن ذلك تم في ظروف تحتم على قادة الحملات الصليبية الثلاث التظاهر بصدقة بيزنطة إلى حين .
 - ظل الصليبيون يحملون بيزنطة مسؤولية هزائمهم في الشرق ، ويتهمونها بموالاة المسلمين . وقد قادهم هذا الشعور إلى تحقيق رغبة اللاتين المزمنة في احتلال القسطنطينية .
 - في الحملة الرابعة تحققت غاية الغربيين في ضم الشرق الأوروبي اليوناني سعيا وراء ظهور إمبراطورية رومانية مقدسة تشمل قارة أوروبا ، ومن ثم كشلكة الكنائس الشرقية ، ويبدو أن حلم الوحدة الأوروبية لا يزال يراود الأوروبيين الغربيين منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية إلى اليوم .



1. Les premières croisades (XI^e-XII^e siècles)

الحملات الصليبية

Première Croisade (1096-1099)

الأولى

Deuxième Croisade (1147-1149)

الثانية

Troisième Croisade (1189-1197)

الثالثة



Pays musulmans



Etats chrétiens d'Orient



Pays chrétiens romains



Pays chrétiens orthodoxes

فهرس المصادر والمراجع :

العربية :

- (١) ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٥م .
- (٢) ابن القلانسي (ت ٥٢٠هـ) تاريخ دمشق ، تحقيق أ. دسهيل زكار ، دار حسان ، دمشق ، ١٩٨٣م .
- (٣) أحمد السعيد سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ، ومعجم الأسر الحاكمة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
- (٤) اسمت غنيم ، تاريخ الدولة البيزنطية (٣٢٤-١٤٥٣م) ، ط ٣ ، ١٩٩٨م
- (٥) ، دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩١م
- (٦) ، العلاقات البيزنطية الألمانية أثناء الحملة الصليبية الثانية في ضوء وثائق المؤرخ البيزنطي كيناموس Cinnamus ، الفنية للطباعة ، ١٩٨٨م .
- (٧) حامد زيان غانم ، الإمبراطور فريدريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
- (٨) حسن حبشي ، الحرب الصليبية الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٨م .
- (٩) جلال يحيى ، محمد نصر مهنأ ، مشكلة قبرص ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١م .
- (١٠) جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٨م

- (١١) ، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٨١ م .
- (١٢) خير الدين الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط ٥ ، ١٩٨٠ م .
- (١٣) سعيد برجاي ، الحروب الصليبية في المشرق ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .
- (١٤) سهيل زكار ، الحروب الصليبية : الحملتان الأولى والثانية حسب روايات شهود عيان كتبت أصلا بالإغريقية والسريانية والعربية واللاتينية ، دار حسان ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .
- (١٥) السيد الباز العريني ، الدولة البيزنطية (٣٢٣-١٠٨١ م) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢ م .
- (١٦) عامرة الحمد ، الإمبراطورية البيزنطية والأمراء الصليبيون : دراسة تطبيقية في ضوء العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية وإمارة أنطاكية الصليبية في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنينوس (١٠٩٨-١١١٨ م) ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٨٠ م .
- (١٧) علية الجتزوري ، هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٥ م .

المصادر والمراجع الأجنبية:

الترجمة:

- (١٨) جوناثان ريلي-سميث ، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية ، ترجمة محمد فتحي الشاعر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط ، ١٩٩٩ م .

- (١٩) رنسيमान (ستيفن) ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، مجلة جامعة الإمام (العدد ٣٦) شوال ١٤٢٢ هـ - ٥٠٤ -

دار الثقافة، بيروت، (ج ١)، (ج ٢) ط ١، ١٩٦٨ م، (ج ٣)،
ط ٢، ١٩٨٠ م.

(٢٠) فلهاردون: من مذكرات فلهاردون فتح القسطنطينية، ترجمة حسن
حبشي، المجلس العلمي بجامعة الملك عبد العزيز، ط ١، ١٩٨٣ م

(٢١) فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، دار
الشروق، عمان، ط ١، ١٩٩٠ م.

(٢٢) كلاري (روبير)، فتح القسطنطينية على يد الصليبيين، ترجمة حسن
حبشي، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٦٤ م.

(٢٣) مجهول، الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) (جزآن)،
ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠ م

الفرنسية:

(24) Atlas Historique, France Loisirs, Paris, 1987 .

(25) Aube (Pierre), Les Empires normands
d'Orient, Tallandier, Paris, 1983

(26) Brehier , Les croisades, Librairie Lecoffre, Paris, 1928 .

(27) Cahen (Claude), La Syrie de Nord a l'epoque des croisades
et la pricipaute franque
d'Antioche. Geuthner, Paris, 1940 .

(28) Demurger (Alain), Vie et mort de l'ordre du
Temple . Seuil, Paris, 1985 .

(29) Diehl (Charles), L'Empire byzantin, Picard, Paris, 1924 .

- (30) Eudes de Deuil, La croisades de Louis VII Roi de France, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1949 .
- (31) Encyclopdia Universlis: Thesaurus . S.A . Paris, 1985 .
- (32) Grousset (Renee), Histoire des croisades, Tallandier, Paris, 1981 .
- (33) Grousset (Renee), L'epopee des croisades, Plon, Paris, 1955 .
- (34) L. rousse, Encyclopedique En Couleurs, France Loisirs, Paris, 1978
- (35) Michaud, Histoire des croisades, Furne, Paris, 1841 .
- (36) Rousset (Paul), Histoire d'une ideologie la croisades. l'age d'homme, lausanne, Suisse, 1983,
-